

المقهر

الجزء الأول من المجلد الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

تعالى جدك اللهم خلقت الجناد والنبات والحيوان وكرمت ابن آدم بنور العقل وفضل البيان، فاستخدم عناصر الأرض وجواهر السماء، وأدرك سر الفلك وسير الفلك ودقائق الماء والهواء، طوى البحار، بالبحار، والبيداء، بالكهرباء، وسوى الأوطاد، والاتحاد، فأصبحت بعد الجهاد، بعض الوهاد، وأحال اليابسة بحرا، والبحر برا، وصير من الخاهل الخالية، معالماً نافعة، ومن القفار الخاوية، رياضاً ممرعة، فجمع بعينه إلى المخلوق مصنوعاً، وغدا الوجود من مادي الطبيعة والعقول مجموعاً.

سبحانك أبدعت نظام الكون والفساد، وجعلت لكل شيء سبباً من المعاش والمعاد، فلم تفقر فقيراً إلا لحكمة، ولم تغن غنياً إلا بتيسيرك له أسباب النعمة، ولا أهنتك من الأمم إلا الظلمة لنفسها، ولا رفعت منها إلا النافذة في يومها وأمسها، فمن قاتونك أن يسعى كل حي لبقائه بالفطرة، وأن لا يكون الشؤء لساعته بالطرفة، ومن استهان بالجزئيات لا يحوز الكليات، ومن لم يعمل الفكر السليم لا يعرف حقائق الكائنات، تاموس مطرد لا تغير الأزمان، ولا يبلد الجديدان، فتقدست أسماؤك ما أعظم سلطانك في السماء والأرض، وما أجز آثار هديك في الرفع والخفض.

وبعد هذا المقتبس على رأس عامه الثالث يدعوا إلى ما أنشئ لأخذ به من مذاهب التعليم والتهذيب، والعلم والعمل مقدمة الإصلاح وبغيرهما كل سعي ضائع والسلام لا يصعد إليه من رأسه، والبناء لا يقوم على غير أسسه فنسان حاله ومقاله ربو البنين.

يتوفر على إحياء القديم القويم، واحتذاء مثال الجديد المفيد، ويقتبس من كل نافع كيف كان قائداً، ويمثل بعض ما جدّ للأنظار وإن تشعبت مسائله، يورد الحاضر ويذكر بالماضي زيادة في الاعتبار والاستبصار، وينشر ما انطوى مما فيه حياة اللغة وجدتها، واللغة مبدأ سيادة الأمة ومفتاح سعادتها، يخاطب الأفراد قبل الخشوع، ويقدم تعليم الصغار على الكبار، يقين أن الضعيف لا يتغلب على القوي بغير سلاح، ولا يكتب النصر لمن لا يستحقه، والأجسام تتكون من الذرات، كما تقوم اختصاعات بقوى أفرادها، وبصرهم مما ينبي الثروة ويحفظ البيضة ويحود على الأخلاق.

ولقد أرادنا بعض المفكرين على أن نتحصى في هذه الخلة لفرع خاص تعرف به، وموضع معين لا تعداه، ليكون ذلك أجمع للفائدة، وأنفع في الأثر. وعذرنا إليهم بأن الإحصاء في علم واحد والبحث فيه من عامة أطرافه يستدعي مواد كثيرة وقراء يتنون ما يكتب بالقبول ليرجى معها حياة العمل طويلاً، ولو اقتصرنا على البحث في آداب اللغة مثلاً كما أشار بذلك بعض النبهاء لاقتضى لنا مادة واسعة يكاد يكون أكثرها مفقوداً وأن نستعين بخمسة على الأقل من المؤازرين المتسكنين في هذا الفن. ثم أين محامنا العلنية وخطب العناء ومحاوراتهم في هذا الموضوع ليتسنى لنا نقلها أو تحصيلها كل مدة فإننا نرى مجالات الأخصائيين في الغرب ينشئها على صغر حجمها عشرات من المشتغلين المنقطعين وهناك الجمعيات والجامع تعد منها ولا تعدها.

هذا ما نقوله لمن نصحوا لنا بالتحصى لفرع من الفروع التي تخوض فيها الخلة الآن في جملة ما تخوض فيه بقدر ما تسمح به الحال. وأنا على يقين من أنه متى كثر مواد المؤازرين على الأساليب الصحيحة تصدر لهم بطبيعة الحال عشرات من أمثال تلك

أجالات المنشودة بالنسبة العربي وإذا ذاك يعرف الناس أن للنبطويات ثمة لا بد من قضائه في أوقاته ولا يقع لأربابها مثل ما وقع لنا في السن الغابرة من حذف أربعين اسم من سجل المشتركين وكان نصفهم طلبوا الاشتراك برسائل منهم فننا ذكرنا بوفاء ما عليهم سكتوا اللهم إلا بضعة عشر واحداً منهم.

على أن طلبات الاشتراك ما زالت ترد علينا من بلاد ما كنا نطن أهلها يقرأون العربية ويرغبون في الأجالات مصحوبة بقيمتها على الطريقة العربية يشترك بعضهم عن رغبة من تلقاء أنفسهم وبعضهم بإرشاد بعض الغيورين وعددهم لا يزال في نحو. ولا نكتم القراء أن مجموع ما ورد على الإدارة في الحولين الماضيين لم يوف حتى الآن ثمة ما صرف في الورق والطبع والبريد فقط.

كل هذا ونحن نعد ما لقيناه ضرباً من ضروب الرقي في الأفكار ونرى المقتبس ينجح نجاحاً كبيراً يوم يقوم بنفقاته. إذ من العبث الاعتماد على العنسيات الآن وما عداها مذهباً من مذاهب المعاش الطبيعي ما دام الشرق العربي متأخراً بمعارفه هذا التأخر الخسوس لاسيما وأن المتصدين للتأليف في الغرب قاسوا قبلنا من أمهم ما لم نقاس نحن بعضها وما زال حال من ينقطعون عندهم للأبحاث التي يقتضي فهمها شيئاً من العلم بالنسبة لمن يشتغلون بالموضوعات الساذجة الهزلية دون ما نوههم بكثير فلا فضل لنا إذا فيما نفادي به.

وهنا نتقدم إلى من يتناولون أجلة في هذا القطر وغيره من الأقطار أن يعودوا أنفسهم إرسال اشتراكهم في أول السنة بدون مطالبة عنى نحو ما تجري عليه الأمم المتقدمة خصوصاً وكنهم الآن من أهل الرغبة المختارين. وقد زدنا من حجم المقتبس بحيث يقع

مجلده آخر السنة في ثمانمائة صفحة جيدة الطبع والورق وكان في الستين السالفين
ستمائة واثنين وسبعين صفحة واستكثرتنا من المواد التي نقتبس منها أو نعرب عنها من
مجلات وموسوعات أفرنجية وأسفار ممتعة عربية مع إبقاء قيمة الاشتراك بحالها. والله
نسأل أن يحقق آمالنا لنقوم ببعض الواجب وهو يهدي السبيل.

الأدب الصغير

لابن المقفع

عني بنشره الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري

توطئة الناشر

من أعظم ما تدعو الحاجة إليه علم تهذيب الأخلاق لتوقف نجاح الأمم عليه وهو فن
ذو أفنان تحتاج إليه الأفراد على اختلاف طبقاتها. ومع قلة ما انتشر من كتبه ففي
جلها من عدم التنقيح وانسجام العبارات ما يصد كثيراً من الطالبين عن الإقبال
عليها. ومن ثم كثر بحثنا عن كتب تفي بهذا المطلب مع رشاقة مبادئها لتكون الفائدة
مزدوجة وهو أقصى آمال الذين يسعون في إحياء اللغة العربية وإعادة لها إلى ما كانت
عليه في عهدها الأول.

ولما ذهب إلى مدينة بعثك سنة 1233 رأيت عند بعض الأفاضل الواردين عليها
مجموعة استعاره من بعض أعيانها قرأت فيه الصالحة المنشودة وهي رسالة الأدب
الصغير لعبد الله بن المقفع الكاتب الذي يضرب ببلاغته المثل فكتبها بخطي في نحو يوم
وأرجو أن ييسر لنشرها من عرف بحسن الطبع ليعم بها النفع والله الموفق.

وهذا بيان الرسائل التي في المجموع المذكور:

- 1 — كتاب عجائب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في نحو ثلاث كرامات يشتمل على ما نقل عنه من بدائع الأحكام.
- 2 — ذكر الخلائف وعنوان المعارف تأليف صاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أوله الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الأهل وقد أسعفتك بالمجموع الذي التمسته في نسب النبي عنده السلام وبنيد وبناته وأعمامه وعلماته وجمل من غزواته وسائر ما يتصل بذلك وهو اثنتا عشرة ورقة وفي آخره. وكتب في رجب سنة عشرين وأربع مائة.
- 3 — رسالة إلى أحمد بن أبي داود في فضل العلم وهي 3 أوراق وفي آخرها: وكتب في شهر ربيع الأول سنة عشرين وأربع مائة.
- 4 — ويتلوها كتاب الأدب الصغير الذي نقلناه وهو في الصفحة اليسرى من آخر ورقة من الرسالة السابقة بخط كاتب واحد فتكون كتابتها في التاريخ المذكور ولم يذكر في آخرها تاريخ.
- 5 — ويتلوها كتاب ذخائر الحكمة تأليف أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي وهو في نحو ثلاث وعشرين ورقة.
- 6 — مختصر من كتاب جاويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف أحمد بن مسكويه وهو أكثر من كراس.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن لكل مخلوق حاجة ولكل حاجة غاية ولكل غاية سبيلاً والله وقت للأموار أقدارها وهيأ إلى الغايات سبلها وسبب الحاجات ببلاغها فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد. والسبيل إلى دركها العقل الصحيح. ومارة صحة العقل اختيار الأمور بالبصر. وتنفيذ البصر بالعزم. ولنقول سجيّات وغرائز تقبل الأدب وبالأدب تنسي العقول وتزكو فكما أن الحبة المدفونة في الأرض لا تقدر على أن تلحع ييسها وتظهر قوتها وتطلع فوق الأرض بزهرتها ونضرتها وريعتها وثمراتها إلا بمعونة الماء الذي يغور إليها في مستودعها فيذهب عنها أذى اليس والموت ويحدث لها بإذن الله القوة والحياة فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغرزها في القلب لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتنلها الأدب الذي هو غاؤها وحياتها ولقائها. وجلّ الأدب بالمنطق وكل المنطق بالتعلم ليس حرف من حروف معجده ولا اسم من أنواع أسمائه غلا وهو مروي متعلم مأخوذ عن إمام سابق من كلام أو كتاب وذلك دليل على أن الناس لم يتدعوا أصولها ولم يأتهم عنها إلا من قبل العليم الحكيم. فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائداً على أن يكون كصاحب قصص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلانداً وسموياً وأكاليلاً ووضع كل قص في موضعه وجمع إلى كل لون شهيد مما يزيده بذلك حسناً فسمي بذلك صائغاً رقيقاً. وكصاغة الذهب والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية. وكالحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة ووسنكت سبلاً جعلها الله ذلاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً إليها

مذكوراً به أمرها وصنعتها فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه فلا يعجب به إعجاب المخترع المبتدع فإنه إنما اجتباها كما وصفناه.
ومن أخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلم به في موضعه على وجهه فلا يرين عليه في ذلك مسؤولية فإنه في أعين على حفظ قول المصيبين وهدى للاقتداء بالصالحين ووفق للأخذ عن الحكماء فلا عليه أن لا يزداد فقد بلغ الغاية وليس بناقصه في رأيه ولا بغائضه من حقه أن لا يكون هو استحدث ذلك وسبق إليه وإنما حياة العقل الذي يتم به ويستحكم خصال ست: الإيثار بالخبية، والمبالغة في الطلب، والثبت في الاختيار، والاعتقاد للخير، وحسن الوعي، والتعهد لما اختير واعتقد، ووضع ذلك موضعاً قولاً وعملاً.

أما الخبة فإنما ينبغ المرء مبلغ الفضل في كل شيء من أمر الدنيا والآخرة حين يؤثر بحبته فلا يكون شيء أمراً ولا أحلى عنده منه. وأما الطلب فإن الناس لا يعيهم حبهم ما يحبون وهوامهم ما يهوون عن طلبه وابتغائه ولا يدرك لهم بغيهم نفاسها في أنفسهم دون الجد والعمل. وأما الثبت والتخير فإن الطلب لا ينفع إلا معه وبه فكم من طالب رشد وجدده وألغى معاً فاصطفى منه ما ألد منه هرب وألغى الذي سعى فإذا كان الطالب يحوي غير ما يريد وهو لا يشك بالظفر فما أحقه بشدة التبيين وحسن الابتغاء. وأما اعتقاد الشيء بعد استبانته فهو ما يطلب من إحراز الفضل بعد معرفته. وأما الحفظ والتعهد فهو تمام الدرك لأن الإنسان موكل به النسيان والغفلة فلا بد له إذا اجتنب صواب قول أو فعل من أن يحفظه عليه ذهنه لأوان حاجة شديدة فإننا لم نوضع في الدنيا موضع غناء وحقص ولكن موضع فاقة وكد ولسنا إلى ما يحسك

بأرماقتنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى ما يشبع عقولنا من الأدب الذي به تفاوت
العقول وليس غذاء الطعام بأسرع من نبات الجسد من غذاء الأدب في نبات العقل
ولسنا بالكدر في طلب المتاع الذي ينتسب به دفع الضرر والعيلة بأحق منا بالكدر في
طلب العلم الذي ينتسب به صلاح الدين والدنيا.

وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس الخفوظ حروفاً فيها عون على عبارة
القنوب وصقلها وتجليه أبصارها وإحياء للتفكير وإقامة للتدبير ودليل على محامد
الأمور ومكارم الأخلاق إن شاء الله.

الواصفون أكثر من العارفين. والعارفون أكثر من الفاعلين، فلينظر امرؤ أين يضع
نفسه فإنه لكل امرئ لم تدخل عليه آفة نصيباً من اللب يعيش به لا يحب أن له به من
الدنيا ثمناً. وليس كل ذي نصيب من اللب مستوجب أن يستنى في ذوي النباب ولا
أن يوصف بصفاتهم. فمن رام أن يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف أهلاً فليأخذ له
عتاده وليعد له طول

أيامه وليؤثره على أهوائه فإنه قد رام أمراً جسيماً لا يصلح على الغفلة ولا يدرك
بالمعجزة ولا يصير عليه الأثرة وليس كسائر أمور الدنيا وسنطافها ومالها وزينتها التي
قد يدرك منها المتواهي ما يفوت المثار ويصيب منها العاجز ما يخطئ الحازم.

وليعلم أن على العامل أموراً إذا ضيعها حكم عليه عقارنة الجهال. فعلى العامل أن
يعلم أن الناس مشتركون مستوون في الحب لما يوافق والبغض لما يؤذي وأن هذه منزلة
اتفق عليها الحنقي والأكياس ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال من جماع الصواب
وجماع الخطأ وعندهن تفرقت العنساء والجهال والحزمة والعجزة.

الباب الأول في ذلك أن العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره فيعلم أن أحق ذلك بالطلب إن كان مما يحب وأحقه بالابتقاء إن كان مما يكره أطول له وأدوم له وأبقى فإذا هو قد أبصر فضل الآخرة على الدنيا وفضل سرور المروءة على لذة الهوى وفضل الرأي الجامع العام الذي تصلح به الأنفس والأعقاب على حاضر الرأي الذي يستعبد قليلاً ثم يصحح وفضل الأكلات على الأكله والساعات على الساعة.

والباب الثاني هو أن ينظر فيما يؤثر من ذلك فيضع الرجاء والخوف فيه موضعاً فلا يجعل ابتقاءه لغير المخوف ولا رجاءه في غير المدرك فيترك اللذات طلباً لأجلها ويحتسب قريب الأذى توقياً لبعيده فإذا صار إلى العاقبة بدا له أن فراره كان تورطاً وأن طلبه كان تكباً.

والباب الثالث من ذلك هو تنفيذ البصر بالعزم بعد المعرفة بفضل الذي هو أدوم وبعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف فإن طالب الفضل بغير بصر تائه حيران ومبصر الفضل بغير عزم ذو زمانه محروم. وعلى العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والإبانة لها والتكيل بها.

أما الخاسية فيحاسبها بما لها فإنه لا مال لها إلا أيامها المحدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كذا تستخلف النفقة وما جعل منها في الباطل لم يرجع إلى الحق فيتنبه لهذه الخاسية عند الحول وإذا حال والشهر إذا انقضى واليوم إذا ولى فينظر فيما أفنى من ذلك وما كسب لنفسه فيه وما اكتسب عليها في أمر الدين وأمر الدنيا فيجمع ذلك في كتاب فيه إحصاء وجد وتذكير وتبكيك للنفسي وتذليل لها حتى تعترف وتذعن.

وأما الخصومة فإن من طباع النفس الأمانة بالسوء أن تدعي المعاذير فيما مضى والأمانى فيما بقي فيرد عليها معاذيرها وعذلتها وشبهاتها.

وأما القضاء فإنه يحكم فيما أرادت من ذلك على السيئة بأنها فاضحة مردية موبقة وللحسنة بأنها زائنة منجية مريحة. وأما الإبانة والتكيل فإنه يسر نفسه بتذكر تلك الحسنات ويرجو عواقبها وتأمين فضلها ويعاقب نفسه بالتذكر للسيئات والبشع بها والاقشعرار منها والحزن لها.

فأفضل ذوى الألباب أشدهم لنفسه بهذا أخذاً وأقلهم عنها فترة ولئى العاقل أن يذكر الموت كل يوم وليلة مراراً ذكرًا مباشر القلوب ويقذع الطماح فإن كثرة ذكر الموت عصية من الأشر وأماناً بإذن الله من الهلع.

وعنى العاقل أن يحصى على نفسه مساوئها في الدين وفي الرأي وفي الأخلاق وفي الآداب فيجمع ذلك كله في صدر أو في كتاب ثم يكثر عرضه على نفسه ويكلفها صلاحه ويوظف ذلك عليها توظيفاً في إصلاح الخلة أو الخلتين والحال في اليوم أو الجمعة أو الشهر فكنها أصلح شيئاً محاه وكنها نظر إلى ثابت اكتأب.

وعنى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها ويحصىها ويصنع غي توظيفها على نفسه وتعهدها بذلك مثل الذي وصفنا في إصلاح المساوي.

وعنى العاقل أن لا يتخادع ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع إلا ذا فضل في الدين والعلم والأخلاق فيأخذ عنه أو موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل وإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنسى إلا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين وليس لذي الفضل قريب ولا حميم هو أقرب إليه وأحب ممن وافقه

عنى الخصال فزاده وثبتته ولذلك زعم بعض الأولين أن صحبة بنيد نشأ مع العناء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال.

وعنى العاقل أن لا يحزن على شيء فاته من الدنيا أو تولى وأن يتزل ما أصاب من ذلك ثم انقطع عنه متزلة ما لم يصب ويتزل ما طلب من ذلك ثم لم يدركه متزلة ما لم يطلب ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها ولا يبنغن سكرًا ولا طغيانًا فإن مع السكر النسيان ومع الطغيان التهاون ومن نسي وتهاون خسر.

وعنى العاقل أن يؤنس ذوي الألياب بنفسه ويجريهم عليها حتى يصيروا حرساً على سمعه وبصره ورأيه فيستقيم إلى ذلك ويريح له قلبه ويعلم أنهم لا يغفلون عنه إذا هو غفل عن نفسه.

وعنى العاقل ما لم يكن مغلوباً على نفسه أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يقضي فيها إلى أخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في أمره وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها مما يحل ويجمل فإن هذه الساعات عون على الساعات الأخر وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل لغة وعنى العاقل أن لا يكون راغباً إلا في إحدى ثلاث خصال تزود لمعاد أو مرممة المعاش أو لذة في غير محرم.

وعنى العاقل أن يجعل الناس طبقتين مختلفتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين فطبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض والحجاز وتحرز وتحفظ في كل كسنة وخطوة وطبقة من الخاصة يخنع عندهم لباس التشدد ويلبس لهم لباس الأنسة والنفط والبذلة والمفاوضة

ولا يدخل في هذه الطبقة إلا واحد من ألف كلهم ذو فضل في الرأي وثقي في المودة وأمانة في السر ووفاء بالإخاء.

وعلى العاقل أن لا يستصغر شيئاً في الخطأ والزلل في العلم والإغفال في الأمور فإن من استصغر الصغير أو شك أن يجمع إليه صغيراً وصغيراً فإذا الصغير كبير وإنما هي ثم يشنها العجز والتضييع فإذا لم تسد أو شك أن تنفجر بما لا يطاق ولم تر شيئاً قط قد أتى إلا من قبل الصغير المتهاون به.

قد رأينا الملك يؤتى من قبل العدو الختقر ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذي لا يحفل به ورأينا الأتجار تبتق من الجدول الذي يستخف به وأقل الأمور احتسالا للتضياع الملك لأنه ليس منه شيء يضيع وإن كان صغيراً وإلا اتصل بآخر يكون عظيماً.

وعلى العاقل أن يحجب عن الرأي الذي لا يجد عنده موافقاً وإن ظن أنه على اليقين، وعلى العاقل أن يعرف أن الرأي والهوى متعاديان وأن من شأن الناس تسويق الرأي وإسعاف الهوى فيخالف ذلك وينتس أن لا يزال هواه مسوفاً ورأيه مسعفاً.

وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر في أيهما الصواب أن ينظر أهواهما عنده فيحدره.

من نصب نفسه للناس إماماً في الدين فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعنة والرأي والنقظ والأخذان فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه فإنه كما أن كلام الحكمة يورق الأشماع فكذلك عمل الحكمة يورق العيون والقلوب ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم.

ولاية الناس بلاء عظيم.

وعلى الوالي أربع خصال هي أعمدة السلطان وأركانها التي بها يقوم وعليها يثبت:
الاجتهاد في التخير — والمبالغة في التقدم — والتعهد الشديد — والجزاء العتيد.

أما التخير للعمال والوزراء فإنه نظام الأمر ووضع مؤونة البعيد المنتشر فإنه عسى أن يكون بتخيره رجلاً واحداً قد اختار ألفاً لأنه من كان من العمال خياراً فسيختار كماً اختير ولعل عمل العامل وعمل عماله يبلغون عدداً كثيراً فمن تبين التخير فقد أخذ بسبب وثيق ومن أسس أمره على غير ذلك لم تجد لبنانه قواماً. وأما التقديم والتوكيل فإنه ليس كل ذي لب وذي أمانة يعرف وجوه الأمور والأعمال ولو كان بذلك عارفاً لم يكن صاحبه حقيقاً أن يكل ذلك إلى عماله دون توقيفه عليه وتبيينه له والاحتجاج به عليه وأما التعهد فإن الوالي إذا فعل ذلك كان سميعاً بصيراً وأن العامل إذا فعل ذلك به كان متحصداً حريزاً وأما الجزاء فإنه تثبيت أحسن والراحة من المسيء.

لا يستطيع السلطان إلا بالوزراء والأعوان ولا تنفع الوزراء إلا بالمودة والنصيحة ولا المودة إلا مع الرأي والعفاف وأعمال السلطان كثيرة وقلنا تستجمع الخصال الخمسة عند أحد وإنما الوجه في ذلك والسبيل إليه الذي يستقيم به العمل أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور من يريد الاستعانة به وما عند كل رجل من الرأي والغناء وما فيه من العيوب فإذا استقر ذلك عنده عن علمه وعلم من يأتمن وجد لكل عمل من قد عرف أن عنده من الرأي والتجدة والأمانة ما يحتاج إليه فيه وإن ما فيه من العيوب لا يضر بذلك ويتحفظ من أن يوجد أحداً وجهاً لا يحتاج فيه إلى مروءة إن كانت عنده ولا يأمن عيوبه وما يكره منه.

ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عنالهم وتفقد أمورهم حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن ولا إساءة مسيء.

ثم عليهم بعد ذلك أن لا يتركوا محسناً بغير جزاء ولا يقرأوا مسيئاً ولا عاجزاً على الإساءة والعجز فإنهم إن تركوا ذلك قهأون الحسن واحترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل. اقتصاد السعي أبقي للجنام ومن بعد الهمة يكون النصب ومن سأل فوق قدرة استحق الحرمان.

سوء حمل الغنى أن يكون عند الفرح مرحاً وسوء حمل الفاقة أن يكون عند الطلب شرهاً وعار الفقر أهون من عار الغنى والحاجة مع الخبة خير من الغنى مع البغضة. والدنيا دول فما كان منها لك أذاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك. إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للنطق وأبين في المعنى وأنى للتسع وأوسع للشعوب الحديث.

أشد الفاقة عدم العقل وأشد الوحدة وحدة النجوح ولا مال أفضل من العقل ولا أنس أنس من الاستشارة مما يعتبر به صلاح الصالح وحسن نظره للناس أن يكون إذا استعجب المذنب ستوراً لا يشيع وإذا استشير سمحاً بالنصيحة مجتهداً بالرأي وإذا استشار مطرحاً للحياء ومعتزلاً بالحق.

القسم الذي يقسم للناس ويمتنعون به نحوان فمنه حارس ومنه محروس فالحارس العقل واخروس المال.

والعقل بإذن الله هو الذي يحرز الحظ ويؤنس الغربة وينفي الفاقة ويعرف النكرة ويشعر
المكسبة ويطيب الشرقة ويوجد السوقة عند السلطان ويستترل للسلطان نصيحة
السوقة ويكسب الصديق وينفي العدو.

كلام النيب وإن كان نزاراً أدب عظيم ومقارفة المآثم وإن كان محقرراً مصيبة جليلة
ولقاء الأخوان وإن كان يسيراً غنم حسن.

قد يسعى إلى أبواب السلطان أجناس من الناس كثيراً أما الصالح فيدعو وأما الطالح
فيمتحم وأما ذو الأدب فطالب وما من لا أدب له فمحتسب وأما القوي فيدافع وأما
الضعيف فيندفع وأما الحسن فيستيب وأما المسيء فيستجير فهو مجمع البر والفاجر
والعالم والجاهل والشريف والوضيع.

الناس إلا قليلاً ممن عصم الله مدخولون في أمورهم فقاتلهم باغ — وسامعهم عياب —
وسائلهم متعنت — ومجيبهم مكثف — وواعظهم فغير محقق لقوله بالفعل —
وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف — والأمين منهم غير متحفظ من إتيان الخيانة
— وذو الصدق غير محترس من حديث الكذبة — وذو الدين غير متورع عن تفريط
الفجرة — والعارم منها غير تارك لتوقع الدوائر — يتناقضون البنى — ويترقبون الدول
— ويتعاطون القبيح — ويتعابنون بالغير — ويرعون في الرخاء بالتحاسد — وفي
الشدة بالتجاذب.

ثم قد انتزعت الدنيا ممن قد استمكن منها واعتكفت له فأصبحت الأعمال أعمالهم
والدنيا دنيا فغيرهم وأخذ متعهم من لم يخدمهم وخرجوا إلى من لا يعذرهم فأصبحنا

خلفاً من بعدهم نتوقع مثل الذي نزل بهم فنحن إذا تدبرنا أمورهم أحقنا أن نتظر ما نعطهم به فتبعه وما نخاف عنهم منه فنجنبه.

كان يقال أن الله تعالى قد يأمر بالشيء ويتلى بثقله وينهى عن الشيء ويتلى بشهوته فإذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيت ولا تترك من الشر إلا ما كرهت فقد أطلعت الشيطان على عورتك وأمكنته من أزمته فأوشك أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير فيكرهه إليك وفيما تكرهه من الشر فيحبه إليك. ولكن ينبغي لك في حب ما تحب من الخير التحامل على ما يستقل منه وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب لما تحب منه.

للدنيا زخرف يغلب الجوارح ما لم تغلبه الآليات والحكيم من لم يعض عليه طرفه ولم يشغل به قلبه أطلع من أدناه فيما وراءه وذكر في بلدته لواحقي شره فأكل مره وشرب كدره ليحول لي له ويصفو في طول من إقامة العيش الذي بقي ويدوم غير عائف للرشد إن لم يلقه برضاه ولم يأت من طريق هواه.

ولا تألف المستوحم ولا تقم على غير الثقة. فقد بلغ فضل الله على الناس من السعة وبلغت نعمته عليهم من السبوح ما لو أن أحسهم حظاً وأقنهم منه نصيباً وأضعفهم علماً وأعجزهم عملاً وأعياهم لساناً بلغ من الشكر والثناء عليه بما خلص إليه من فضله ووصل إليه من نعمته ما بلغ له منه أعظمهم حظاً وأوفرهم نصيباً وأفضلهم علماً وأقواهم عملاً وأبسطهم لساناً لكان عما استوجب الله عليه مقصراً وعن بلوغ غاية الشكر بعيداً ومن أخذ بحظه من شكر الله وحمده ومعرفة نعمه والثناء عليه

والسجيد له فقد استوجب بذلك من أدائه إلى الله والقربة عنده والوسيلة إليه والمزيد
فيما شكره عليه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

أفضل ما يعلم بع علم ذي العلم وصلاح ذي الصلاح أن يستصحب بما أوتي من ذلك
ما استطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته
والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه في المعاد إليه وأن يتبين الذي لهم من الأخذ بذلك
والذي عليهم في تركه وأن يورث ذلك أهله ومعارفه ليحققه أجره بعد الموت.

الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله تعالى إلى خلقه وأعظمها منفعة وأحمدها في
كل حكمة فقد بلغ فضل الدين والحكمة أن مدحا على السنة الجهاد على جهالتهم
بها وعناهم عنهما.

أحق الناس بالسلطان أهل الرأفة وأحقهم بالتدبير العلماء وأحقهم بالعلم أحسنهم
تأديباً وأحقهم بالغنى أهل الجود وأقربهم من الله أنفذهم في الحق علماً وأكسبهم به
علماً وأحكمهم أبعدهم من الشك في الله تعالى وأصوبهم رجاء أوثقهم بالله وأشدهم
انتفاعاً بعلمه أبعدهم من الأذى وأرضاهم في الناس أفشاهم معروف وأقواهم أحسنهم
معوذة وأشجعهم أشدهم على الشيطان وأفلجهم بالحجة أغلبهم للنشوة والحرص
وأخذهم بالرأي أتركهم للنهوى وأحقهم بالمودة أشدهم لنفسه حياء وأجودهم أصوبهم
بالعطية موضعاً وأطولهم راحة أحسنهم للأمور احتمالاً وأقلهم دهشاً أرحبهم ذرعاً
وأوسعهم غنى أقنعهم بما أوتي وأخفصهم عيشاً أبعدهم من الإفراط وأظهرهم جمالاً
أظهرهم حصافة.

وآمنهم في الناس أكثهم نايأ ومخلاً.

وأثبتهم شهادة عنهم أنطقهم عنهم.

وأعد لهم فيهم أدومهم مسألة لهم.

وأحقهم بالنعم أشكرهم لما أوتي منها.

أفضل ما يورث الأبناء الأبناء الثناء الحسن والأدب النافع والأخوان الصالحون.

فصل ما بين الدين والرأي أن الدين يسلم بالإيمان وأن الرأي يثبت بالخصومة فمن

جعل الدين خصومة فقد جعل الدين رأياً ومن جعل الدين رأياً فقد صار شارعاً ومن

كان هو يشرع لنفسه الدين فلا دين له.

قد يشتبه الدين والرأي في أماكن لولا تشبههما لم يحتاجا إلى الفصل.

(للكتاب بقية).

الخاصة والعامة

قال الراغب: الناس ضربان خاص وعام فالخاص من قد تخصص من المعارف بالحقائق

دون التقليدات ومن الأعمال ما يتبع به إلى جنة المأوى دون ما يقتصر به على الحياة

الدنيا والعام إذا اعتبر بأمور الدين فالذين يرضون من المعارف بالتقليدات ومن أكثر

الأعمال بما يؤدي إلى منفعة دنيوية وإذا اعتبر بأمور الدنيا فالخاص ما يتخصص بأمور

البلد مما ينحرم من افتقاده إحدى السياسات المدنية والعامة ما لا ينحرم بافتقاده شيء

منها. وهم من وجد آخر ثلاثة خاصة وعامة وأوساط والأوساط هم المسنون في كلام

العرب بالسوق فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس والعام هو الذي يساس ولا

يسوس والوسط هو الذي يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه. ومن وجد آخر

ثلاث أضرب أصحاب الشهوات وهمهم الجدة واليسار والأكل والشرب والبعث

وأصحاب الكرامة والرياسة وهمهم المدح واستجلاب الصيت والخندة وأصحاب الحكمة وكل واحد منهم يستعظم من هو من جنسه. قال بعض الحكماء: ما من إنسان إلا وفيد خلق من خلاق بعض الحيوانات وبعض النبات لكون الإنسان مشاركاً لها في الجنسية وإن كان مابيناً لها في النوعية فمن الناس غشوم كالأسد وعائث كالذئب وخب كالثعلب وشرة كالخزير وجامع كالنمل وورق كالذباب وبيد كالخنزير وألوف كطير الوفاء وصنع كالسرفة وأنف كالأسد والنسر وغيور كالديك وهادئ كالحنام ومنهم حسن المنظر والمخير كالأترج ومنهم بخلاف ذلك كالعفص والبنوط ومنهم قبيح المنظر حسن المخير كالجوز والنوز ومنهم حسن المنظر قبيح المخير كالحنظل والدفلى والمؤمن الخير هو في الحيوانات كالنحل يأخذ أطيب الأشجار ولا يقطع ثمرها ولا يكسر شجرها ولا يؤذي بشراً ثم يعطي الناس ما يكثر نفعه ويحتمل طعمه ويطيب ريحه وهو في الأشجار كالأترج يطيب حملاً ونوراً وعوداً وورقاً والمنافع الشريفة هو في الحيوانات كالقمل والأرضة وفي الأشجار كالكشوت فلا أصل له ولا ورق ولا نسيم ولا رل ولا زهر يفسد الشار ويبس الأشجار وكالشجرة التي قل ورقها وكثر شوكتها وصعب مرتقاها.

هذا ما ذكره الأصفهاني في وصف طبقات الناس وما يرجي منهم من المنافع وما يخشى من مضارهم قاله منذ زهاء ثمانمائة سنة ويقال مثله بعد قرون كما يصح إطلاقه على ألوف من السنين من قبل. ويرى الناظر في هذه الحياة الدنيا من سلطان الأوهام الكثيرة تأثيراً في دفع الناس بعضهم عن بعض ولولا ذلك لاحتل النظام أو كاد. وكان معظم تأثير الأوهام في خلال القرون الوسطى أيام انتشار الإقطاعات وتسلط

الأشراف ورؤساء الديانات في الغرب أما في الشرق — ونريد به البلاد العربية — فإن الأوهام كانت تتسلط على الناس بعد الإسلام بحسب حال الحكومات المتغنية من العقل والجهل والدين والإلحاد ولذلك أتت على العامة أدوار كانوا يعتقدون أن الخاصة من طبقة غير طبقة البشر فهم أحق بالتقديس فقدسوهم ورفعوهم فوق أقدارهم ولم تكن نفوس الطبقة العالية من التهذيب بحيث تحسن استعمال هذه الامتيازات التي امتازت بها بل استعملتها ذرائع إلى الاستكثار من الثروة من غير حيلها وللتجرح بالباطل بما لم يأمر به شرع إلهي ولا عقل إنساني ولذلك صرت ولا تزال ترى بين الطبقة العليا والدنيا من الفروق ما لا تراه في أكثر الأمم النهم إلا الهنود والصينيين فإن مسافة الخلف بين طبقات الناس هناك مما يعجب منه أيضاً.

انتهى أهل الغرب لسر الاجتماع البشري أكثر منّا. والغالب أن سلطة الأشراف أو أهل الطبقة العالية بلغت عندهم قبيل قمضهم مبلغاً لا تطيقه نفس بشرية فكان القيام على نزع تلك السلطة من أول الإصلاح عندهم ثم بقيت الطبقات تتقارب بعضها مع بعض وإلى اليوم لم يبلغ هذا التقارب أشده عندهم ولكنه لو قيس بما بين مختلف الطبقات في شرقنا لعد غاية الارتقاء.

إذا تقارب الخاصة من العامة وعرف كل حقه ولم يتعده تستقيم أحوال المجتمع وتقوى دعائمه وتثبت في نفوس أبنائه روح التضامن الحقيقي وإذا بقيت كل طبقة مقتصرة على أهل طبقتها يحدث بين الطبقات سوء التفاهم ما لا يكون منه حضارة ولا غبطة والعامة هم سواد كل أمة وهم القاسون على الزراعة والصناع المختلفة والأعمال الصعبة والخاصة أفراد قلائل وقومهم بأفكارهم وعقولهم في الأعم الأغلب من أحوالهم.

والعقل ينبغي له أن يحسن الانتفاع من كل شيء في هذا الوجود فيما الحال بانتفاعه من مخلوق مثله لو عنده بعض الضروريات لكان عبده له ولغيره أتم وأعم.

مضى العهد الذي كان العلم فيه مقصوراً على أهل طبقة خاصة ككهنة قدماء المصريين وأشراف اليونان والرومانيين ورهبان الأديار والصوامع في القرون الوسطى.

مضى ذلك الزمن وما نطن يعود مثله على البشر بعد وقد أخذت حضارة الغرب تنفذ أنوارها حتى إلى القفار ويستير بها المتشدن والمتوحش بحسب ما رزق من قوة بصر وبصيرة. طوي ذلك البساط بما عليه جملة ولن يعود إلى سالف حاله بعد أن توفر جمهور كبير من علماء الغرب يخطبون العامة في مجالسهم بما لا يعنو عن أفكارهم ويعنونهم في مدارس لينية أقاموها لتعليم من لم يسعده الحظ بالتعليم وبعد أن أنشؤا جرائد خاصة ووضعوا اجلات والكتب لينقثوهم الأفكار الصحيحة والمعارف اللازمة من أيسر الطرق وأخصرها وبعد أن فتحوا لهم المعارض والمتاحف ودور التثليل لتكون منهم مقومات العقول على طرف الشام وبعد كل ما أقاموه لمنفعتهم من أسباب التعليم يستحيل أن يغالط عامتهم في حقائق الأشياء بعد اليوم وقد غولطوا فيها زمناً طويلاً.

قال سيائل: لا غنية للديمقراطية عن خيرة رجال كذا لا يسعها إلا أن تقدر الذكاء والعلم والفضيلة حق قدرها. ولا مشاحة في أن الديمقراطية تأت على الحواجز التي كانت تحول بين الطبقة العالية وجمهور الأمة فتدكها من أساسها وذلك لأن اجتماع مختار كبار الرجال من جمهور أهل البلاد ممن ينشؤون أبداً بين ظهراني عامة الناس ولا يزالون ينشرون ويتجددون بما يصدر إليهم من حوص القوة والنشاط وأعني بهذا

الحوض العامة. فإذا اعتزل أولئك الرجال واقتصروا على الاجتماع بأبناء طبقتهم محتقرين ما عداها فإنهم يقضون على أنفسهم بالضعف وعلى أمرهم بالفشل. ليس الشعب هو الجمهور بل هو الأمة وهو الحاكم المتحكم. والفكر لا يكون إلا مجردات ونظريات إذا لم يكن له كيان وحقيقة تؤثر في عقول أبناء الأمة وإرادتهم. وعلى الطبقة الخاصة من الناس وهي في الأصل ممتزجة بجهلاء الأمة وأهل الوضاعة منهم أن يكون لها اتصال بالشعب وعليها أن تعمل على إقناعه لتنال ثقته تتصل به وتشاركه في معرفة الحقيقة السامية التي تخضع لناموسها الإرادات مختارة وعلى مجموع من يتألف من هم المجتمع الديمقراطي أن يشتركوا في الحياة الوطنية. أهـ.

ولقد وقر في نفوس خاصتنا زمناً طويلاً بأن اجتماعهم بالعامة يعد منقصة وسبباً لذلك كانوا وأكثر من يتطاولون إلى التشبه بهم من أهل الطبقة الوسطى في العقول يشتمون من الاختلاط بغير طبقتهم كأن العلم برعيتهم يفسد إذا ألقى على من ينتفع به أو أنه تذهب بركته ويزول بهاؤه ورواؤه وقد كان هذا الخلق يقوى في الشرق على عهد ضعف الوازعين الديني والسياسي وانحلال التريتين البيئية والمدرسية.

وما مجالس الوعظ أيام الحضارة الإسلامية إلا من بركة تلك العقول الكبيرة والتربية الراقية فكنت ترى أمثال الحسن البصري والفخر الرازي وابن الجوزي ومئات غيرهم في المساجد والمتابر يعظون العامة ليعلموهم ما حرموا منه فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم. بدأ ذلك على عهد الخليفة الرابع فكان يأتي بواعظ العامة ويسأله فإن رآه متمكناً من العلم بحيث لا يضل الناس بكلامه أذن له بالوعظ وإلا منعه وما كان جلة العناء يستكفون من تفهيم العامة كما كانوا يعلمون الخاصة.

وظاهر أن ما كانوا يلقونه على مسامع جمهور الناس من أنواع العلوم لم يكن في صعبته كالذي يلقونه على خواصهم ولذلك قلنا كان يتأتى العبث بعقول العامة في القرون الستة الأولى للإسلام فقرّبوا من الخير والسلامة من أكثر خاصة العصور المتأخرة ممن جعلوا الدين سلباً إلى الدنيا وقشور العلم للسياهاة. ومقادير الخاصة والعامة في كل أمة نسبية في الغالب فقد يكون رجل من طبقة الخواص في أمة فإذا قيس بغيرها من الأمم الراقية لا تترلّه إلا مترلة العوام.

قال الصفهاني: لا شيء أوجب على السلطان من مراعاة المتصدين للرياسة بالعلم فمن الإخلال بها ينتشر الشر وتكثر الأشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر وذلك أن السواس أربعة الأنبياء وحكمتهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والولاء وحكمتهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكماء وحكمتهم على بواطن الخاصة والوعظة وحكمتهم على بواطن العامة وصلاح العالم بمراعاة أمر هذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة العامة وفساده في عكس ذلك ولما تركت مراعاة المتصدي للحكمة والوعظ ترشح قوم للزعامة بالعلم من غير استحقاق منهم لها فأحدثوا بجهلها بدعاً استغفروا بها العامة واستجلبوا بها منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لمشاكلتهم لهم وقرب جوهرهم منهم:

فكل قرين إلى شكنه ... كأنس الخنافس بالعقرب

وفتحوا بذلك طرقاً منسدة ورفعوا بها ستوراً مسبلة وطلبوا مترلة الخاصة فوصلوا إليها بالوقاحة وبما فيها من الشره فبدعوا العناء وكفروهم اعتصاباً لسلطانهم ومنازعة

ملكاهم وأغروا بهم أتباعهم حتى وطؤهم بأخفافهم وأظلافهم فتولد من ذلك البوار والجور العام.

أهـ.

ولقد بقي من دروس الوعظ أو القصاصين كما كانوا يدعون قديماً أثر ضئيل في بعض البلاد الإسلامية ولكن ضررها يربو على نفعها لأن من يتولون أمرها في الأكثر قلناً يدركون مبالغ أقوالهم وتأثيراتهم ومعظمهم ممن تزويوا قبل أن يتحصروا فراحوا على قلة علمهم وعملهم يدعون إلى الخرافات في الأغلب يستسهلون الكلام في الزهد في الدنيا وذكر فضائل الأيام والمواسم وأكثر خطب الجوع من هذا القبيل أو هي أدهى وأمر. وأما الخاصة الحقيقيون في الأمة فقد اضطرتهم الفوضى في العلم والنظام إلى أن يقبعوا في بيوتهم ويكونوا أحلاسها واقتصروا اليوم في تعليم العامة على من ينوذون بهم من أهلهم وأصحابهم وجيرانهم والعشرة تعدي جرائسها.

القيام على تعليم العامة عندنا ليس بالأمر الحديث كما هو في الغرب ولكن أصوله بنيت بين أظهرنا ونمت أي نحو عندهم شأن الأمم الراقية والنازلة هذه يمسح فيها كل شيء حتى جمال وجوه أهلها وتلك يرتقي فيها كل شيء حتى موبقاتها وشرورها. ولا نقصد بتعليم العامة أن نعلمهم ما يصددهم عما هم بسبيله من أمور المعاش ولكننا نقصد أن يعلموا كرامة أبناء اليابان القواعد الأساسية القليلة ليستحيل بعدها التلاعب بأهوائهم ويكونوا عوناً للخاصة في كل عمل نافع لا عثرة في سبيل كل مشروع ينهضون بلا سبب معقول ويسكنون كذلك.

نريد أن يعنم العامة القراءة والكتابة البسيطة ومبادئ التاريخ والجغرافيا والحساب والاقتصاد والصحة وتدبير المنزل وشيئا من آداب الدين التي لا تعلم عن أفهامهم وعندما يشاركون الخاصة في الفهم إن لم يكن في معظم مسائل الوجود.

ففي بعضها وهناك من الفائدة للخاصة ما لا ينكره عاقل ويكفي أنهم لا يعدون غريباً كأنهم من عالم آخر إذا نزلوا بين قوم في الأرياف والقرى والدساكر إذ يجدون فيها من يزيل عنهم موجبات الوحشة ويقدرهم قدرهم في الجنة. هذه الطبقة من العامة إذا كثرت في الشرق العربي مثلاً تكون حاله أحسن مما هي عليه بما لا يقاس ويقل تبرم المتعلمين النورين من عشرة الأميين العامين ولا سيما في المدن الصغرى حيث لا عقل يفكر إلا في الأمور البسيطة من المعاش وقل من يشارك في الشؤون العامة.

قال الجاحظ تقول العرب: لولا النوم لهلك الأناس وقال بعضهم في تأويل ذلك لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه قد صنع خيراً فتشبه به لهلك الناس وقال الآخرون إنما ذهب إلى أنس بعض الناس ببعض كأنه قال إنما يتعايشون على مقادير الأنس الذي بينهم ولو عنتهم الوحشة عنتهم الهلكة.

وإذا لم يتيسر لبلادنا الآن أن تؤسس لها مجامع ومدارس لهذا الضرب من التعليم فما أخرى كل من رزق علماً خرج به عن العامة أن يجمع حوله طائفة من أهله وجيرانه يرشدهم ويلقنهم بحسب ما يعرف ويصحح لهم أفكارهم إلقاءً ويعلمهم ما لم يسعدهم الحظ بتعليمه في كتاب. ولا أعلم في بلادنا أحداً يهتم لتعليم العامة وتصحيح الأفكار مثل الشيخ طاهر الجزائري على اتساع مادته في العلوم المختلفة اتساعاً لم أره في عالم عربي وقد انتبه بعض علماء فارس لهذه النكته فأخذوا ولا سيما في العهد الأخير

يخدمون العامة بما ينفعهم ويطبقون لهم المدنية على حسب عقولهم وهم هناك بضعة عشر رجلاً ورأسهم اجتهد السيد جمال الدين فقد قرأت له خطباً في هذا الموضوع لا تقل في جودتها عن خطب أرنست لافيس وجبرائيل سيال وغيرهما من فلاسفة فرنسا المعاصرين ممن لا يرون حطة في أقدارهم أن يتولوا لتعليم العامة لا اعتبارهم إياهم عند أخبية المجتمع وقواعد بنيان بني الإنسان.

إن يوماً نرى فيه هذه البلاد مملوءة بحزائن كتب يختلف إليها العامة فيتناولون فيها ما شاؤوا من المطبوعات والأسفار البسيطة النافعة ومدارس ليلية أو نهائية ابتدائية لتعليم الكبار والصغار والبنات والصبيان ومعارض ومتاحف في كل مديرية أو متصرفية أو عمالة طو يوم سعيد يسوع بعدها لأمتنا أن تدعي أنها راقية تستحق استقلالها في سياستها إذ حررت العقول من ظلماتها.

الرياضة المعقولة

قل استعمال الألعاب الرياضية في هذه البلاد لأن الفقير لا يقدر فوائدها قدرها ويروض جسده من حيث لا يشعر بأعماله اليدوية وحركاته اليومية أما الغني فيرى في الأكثر أن اللعب لترويض الجسم منقصة وسية لا ينطبق مع الوقار والرزانة. ولما كان أجدادنا ينصرفون إلى الألعاب المختلفة آونات فراغهم كانت أجسامهم أصح وأمراضهم أقل. دام ذلك إلى عهد قريب وضعفت الألعاب الرياضية بيننا بضعف العلوم وبدلت على عناية قومنا بالرياضة قديماً أهم أفرادها بالتأليف وعددوا ضرورها وأساليها.

ولقد كان صلاح الدين الأيوبي ونور الدين زنكي إذا استراحا قليلاً من جهاد الصليبيين يصرفون شطراً من أوقائهما في ركوب الجياد والسباق في سهل النوان بظاهر دمشق ولا يريان ذلك تكبراً. ولما أنكر أحد عناء ذلك العصر على أحدهما ما يأتيه من هذه المسليات المضيعة للأوقات قال له: إنما نستعين على تقوية أجسامنا لنلا نضعف عن الزوال ومقارعة الأبطال. ولم يزل في بعض بلاد الشام أثر من آثار هذه الألعاب بين أبناء الطبقة المتوسطة والدنيا ومن أهمها ركوب الجياد للسباق والركض والوثب والسبحة ولعب العصا والصراع كما ترى منها بعض الشيء في هذا القطر.

يبد أن الغربيين سبقونا أشواطاً إلى كل محنة ومن جملة ما يمتاز به خاصتهم وعامتهم عن خاصتنا وعامتنا الألعاب الرياضية يأتونها كأنها من الضروريات كالأكل والشرب والنوم حتى قال بعضهم أن على نسبة ارتقاء الألعاب الرياضية في أمة تقوي أجسامها وتطول أعمارها وتصح عقولها والعقل السليم في الجسم السليم. أدركوا أن غاية الحركات الطبيعية بث القوة في عامة الجسم لا جعلها قاصرة على بعض الأعضاء فانبطح القنب المفرط ينشأ من الإفراط في إهلاك أحد الأعصاب بالعمل وإفناء قوى بعض الحواس. فترى الجبار ممن اعتاد رفع الأثقال قوي العضلات ولكنه ضعيف الساقين إذا أريد على الجري انقطع نفسه وخاتته رجلاه ولئن كانت أعضاؤه متينة فآلته التنفسية سيئة السير ولا يعالج هذا النقص إلا بتمرينات منظمة حتى أن المصارع نفسه ليحتاج إلى الرشاقة في حركاته إذا عرض له أوتوموبيل في مسكنه أو حريق في داره ليتأني له أن يقفز ويصعد الدرج ويزحل على الحبل. أما عامة الناس فهم كنسب استحكمت قوتهم وزادت خفة أجسامهم يستعدون لتسلق الجبال وحمل الأحمال

والقفز والسباق. وهذا الميل إلى كل ضرب من ضروب الرياضة وإن أريد به التسني فهو من الضروريات لقوام البنية حتى يكون من الناس كما يقول الفيلسوف هيربرت سبنسر (حيوانات صالحة) أي أناس لهم في تراكيبهم الطبيعية ومن أعصابهم وحواسهم الباطنية ما يؤهلهم للقيام بما في طاقتهم بدون أن ينقص عضو من عضو شيئاً أو يقوى عصب بضعف آخر. ولذلك كثرت أساليب الرياضة وكنها تدور على قوانين طبيعية مبنية على علم التشريح والحياة والميكانيك. وممن قام يدعو إلى طريقتة في الرياضة رجل من أهل السويد اسمه ليج نظر في الطرق المتبعة في التريض فخالف المتبع منها في التربية الطبيعية التي من شأنها إعداد أناس منبسطة قلوبهم فاستعاض عنها كان أهل الرياضات يستعملونه من قبل بالتجارب من الألعاب بأساليب له معقولة معتقداً أن أحسن رياضة لتحسين الجنس الإنساني في مجموعته تقليل أسباب الضعف وتقوية الأبدان تقوية تامة. تعلم هذا الرجل التعليم العالي وانصرف إلى اللاهوت والأدب لأول أمره فصنف فيها وألف فشغله ما هو فيد من الأشغال العقلية عن النظر في الألعاب الرياضية إلى أن التقى بمهاجرين فرنسيين في كوبنهاغن أوائل القرن الماضي فعشاه المسابقة لعب السيف والفرس فبهر فيها حتى عين معلماً لحمل السلاح في كلية لوند وكان حاد الفكر والتصور صعب المراس لا يقف في أمر يتعاطاه عند حد المتوسط فاهتدى بذكائه إلى أن وراء المسابقة وإحسان الكر والفر مقصداً أسمى فأخذ نفسه بدرس منافع هذا الفن ونظر في التشريح وعلم النفس وتوغل في التاريخ فرأى أن السكندينايين كانوا يستعملون الرياضة واليونان من قبلهم كذلك وتبين له أن ما هو ماثل في مصانع اليونان وقمائنهم من جمال الوجوه وتناسب الأعضاء وصحة الجسوم

إنما كان بفضل الرياضات التي يرتاضونها وثبت له أن تحسين النسل وجماله وجودة الصحة الطبيعية والأخلاقية تنشأ من استعمال الرياضة المعقولة.

قام هذا الخاطر في ذهنه ولم يرتح وجدانه إلا عند ما تعدم إلى حكومة السويد أن تمنحه شيئاً من المال يستعين به على نشر طريقته فردته رداً غير جميل وعدته مخزقاً أخرق فسخط من ذلك وهو غضوب عبوس إلا أنه لم ييأس. وكان نجاحه في ثباته على المطالبة فصدر الأمر المنوكي سنة 1813 بإنشاء مجمع علمي للألعاب الرياضية في استوكهولم عهد إليه إدارته ووفق إلى تحقيق الأفكار التي كانت تخاض صدره وإن كانت تلك الأفكار مشوشة مرتبكة لأول أمرها إلا أن العمل يجليها والبحث يهذب أصولها وفروعها وساعده على ثباته ما تم للعلم من الاكتشافات الحديثة وزيادة انتشار فن الطب ومعرفة ما بين أعضاء الجسم من الصلات.

أما طريقته فهي في الحقيقة مجموع أعمال صحية غايتها تقوية الأعصاب وأن يقاوم المرء المؤثرات المضرة ويستعد لدفع الأخطار التي تحيق به. وبفضل الجهاد الذي جاهده لنجح في أعماله زاد في مدة نصف قرن معدل قامات الجنود في تلك البلاد ثلاثة سانشيمات وطالت الأعصار فصار معدل الزيادة تسع سنين عن ذي قبل. ولما بت ذلك بالبرهان والإحصاء أرادت بعض دول الغرب أن تجري على طريقة السويديين فأدخلت طريقة لنجح إلى المدارس الجامعة وثكن الجند ولكن العنصر اللاتيني لم يفتح كثيراً في الجري على تلك الخطة لأن أهل شمالي أوروبا أرقى منه في معنى التوفر على الواجب والمبالغة في الخضوع لضروب السخرة الممنلة فلا يتبرمون من تكرار حركات واحدة وحضور جلسات طويلة على نمط واحد كما يتبرم أهل العنصر اللاتيني.

وبعد فإن من فوائد السياق وفصائله في التربية أنه يضطر صاحبه إلى تعلم النظام ويعدده لنقيام بالقروض الجندية ولذلك ترى الجدافين في القوارب وهم مضطرون إلى تطبيق حركاتهم بعضهم على بعض وأن يسيروا بنظام تام يأتون في ذلك مثلاً من أمثلة النظام والتكافل وكذلك الحال في لاعبي الكرة بخضوعهم لأمر رعيهم. هذه الألعاب أحسن مدرسة للنشيان كل يوم لأنها لا تبقي عضلة لا تتحرك في خلالها وتثير الحركات التنفسية مع رفع الأعضاء وبذلك يقوى الصدر وتكبر رقعته وتحسن ضربات القلب وتتصنّب الأعصاب وتمرن المفاصل.

ولكن هذه الطريقة في الألعاب على ما هي عليه من النفع بحيث جرى العمل بها في الشكن والمدارس يصعب أن يجري عليها من يتعلمونها بعد لأن الشكنة أو المدرسة إذا خصصت للجندى والتدريب ساعة كل يوم للرياضة فمن الصعب على من يدخل في مدرسة هذا العالم أن يصرف هذا القدر من وقته كل يوم. بيد أن القوم اخترعوا صوراً من الألعاب لا يحتاج معها المرء إلى شيء من الأدوات ولا تأخذ له من الوقت أكثر من عشر إلى خمس عشرة دقيقة.

وقد كثر تحدث الناس في إسكاندينيا مهده طريقة لنج بطريقة اخترعها مولر الدانيسكي وما وفق إلى إتقانه في كل فرع من فروع الألعاب وهذا الرجل يحسن تعاطي الخداف والسباحة والترحلق والصراع والمشي وحمل الأثقل والقفز والملاكمة والسير السريع وقد نال في ذلك 123 جائزة حتى قال فيه أحد المصورين: إنك يا هذا أجمل مخلوق رأيته في حياتي. بل أنه كتب مؤخراً أنه سيزيد نفسه جمالاً ورقة مع أنه الآن في الأربعين من سنه. وتاريخ هذا الرجل غريب في بابه وذلك أن أباه كان

محتل الصحة مبتلى بعدة أمراض وهو كان في صغره كثير الأمراض أيضاً وقد قال عن نفسه: إني لما ولدتني أمي لم يكن وزني أكثر من ثلاث ليرات ونصف بحيث كانت عبثة لفائف تسعني وفي السنة الثانية أصبت برحير كدت أهلك عقيده كما أصبت في تلك السن بجميع أمراض الأطفال. ولما دخلت المدرسة أصبحت أمرض كل سنة مرتين أو ثلاثاً بالحمى والبرداء والإسهال وغيرها فأنت ترى أن مالي من الصحة والقوة الآن لم أرثها وأني لم أكن من أهل العافية والسلامة في طفولتي.

ففي سنة 1874 وكان عمره إذ ذاك ثلثي سنين وقعت إليه كتب بالألعاب الرياضية مترجمة من الإنكليزية والألمانية ولما قرأها ربت فيه ذوق التمرينات الطبيعية وأخذ يتحضر لها وترك دروس اللاهوت التي كان أخذ بدراستها لأول أمره وتعلم الهندسة العسكرية صم صار مهندساً منكباً وبعد أن قضى عشر سنين في هذه الصناعة عين مديراً لمصنع في جوتلاند شبه جزيرة دانيمركية وهناك نشر كتاباً في الألعاب الرياضية سماه طريقي النشر انشطاراً غريباً فطبع منه في 3 أغسطس سنة 1904 إلى شهر مايو من السنة التالية ثلاثون ألف نسخة هذا وسكان الدانيمرك نحو مليونين ونصف فقط. وترجم إلى الألمانية فطبع منه 70 ألفاً وإلى الإنكليزية فطبع منه 25 ألفاً وإلى السويدية 20 ألفاً وإلى الفرنسية 20 ألفاً. ولئن كان لنشر هذا الكتاب يد في التفنن بالإعلان عنه فإن سهولة طريقته كانت أعظم سبب لانتشاره إذ ليس فيها قيود ولا تعقيد بل أن الربع ساعة يقضيها المرقاض في غسل جسده ومحن جنده (دعكه) وتغيير بدنه تكفي فيسحن جسده وهو يستلقي على قفاه ويتلوى ويتوتر ويتشنى بحيث لا ينتهي من اغتساله إلا وقد تحركت جميع أعضائه وأعصابه ويكون قد نظف جسده وبشرته.

وهذه الطريقة نافعة أكثر من غيرها من الألعاب الرياضية لأنها تجعل تنعيم البشرة وغسلها من الأعمال الرئيسية وتلين أعصاب البطن وتجعل لتنفيس الجند شيئاً عظيماً وقد كتب مولنر إلى ضحكت من أناس في أرباب المسابقات والصراع يغتبطون بأن أجسامهم لا ترشح عرقاً عندما يتعاطون أعمالهم مع أي موقف بأن مسام أجسامهم متسخة بالأدران والأدهان البشرية وصفرة وجوههم واكنداد ألوانهم أكبر دليل على سوء صحتهم. وقد علق مولنر على ترويض البطن شيئاً كبيراً في تحسين المضم والعون على النظام وظائف الأحشاء وتحسين حالة الكلى والكبد.

وسواء شاعت طريقة لنج أو طريقة مولنر أو طريقة الجيو جيتسو اليابانية في الألعاب الرياضية فإن ما يهم في هذا الباب انتشار الرياضة البدنية بين جميع الطبقات لا أن تبقى محصورة في طبقة خاصة فيجب أن يتعلم الطفل اعتياد العناية بجسمه وغسله وتقويته ومحمد وأن يواظب على ذلك ما دام حياً. ومن أجل هذا تجد الحكومات الأوروبية تنشط جمعيات الألعاب الرياضية. وقد كتب وزير حربية فرنسا إلى جمعية اتحاد الألعاب الرياضية في العهد الأخير يقول: يجب أن لا تبقى بعد الآن غير طريقة واحدة في التعليم الطبيعي تستعمل في الثلاثة أدوار من أدوار التربية الوطنية وهي المدرسة والمجتمع والجندية وهذه الطريقة هي كبر الصدر وسلامة الرئتين والقلب وتقوية الساقين طريقة تحسن جسم المرء أدبياً وصحياً وتعدده كأحسن الناس للحياة والعمل والقتال إذا اقتضت الحال.

رب إسرائيل في جزيرة أسوان

جزيرة أسوان هي أول الجزر العظيمة الواقعة في مصب الشلال وتدعى أيضاً الجزيرة وكانت قديماً مأهولة بجماعة من النوبيين وهي عبارة عن قريتين تابعتين لأسوان وتعد عاصمة نخوت (التخوم) ومدينة (أبو) أو (كوبو) العظيمة قال لاروس في معجمه الأوسط: وكان أمراءها نحو آخر السلالة الخامسة أو السادسة يغزون الصحاري الجاورة أو شواطئ البحر الأحمر ويتجرون معها وكانت ملوك السلالات المنفية تترها عندما تريد الإشراف على أحوال التخوم واستعمر سكان هذه الجزيرة بلاد النوبة الشمالية بين السلالة السادسة والحادية عشرة. ولقد ضعفت مكانتها عندما توسعت في التخوم نحو الجنوب على عهد ملوك الشيبين وأصبحت مدينة يرحل إليها للتجارة والزيارة ولما جاء المصريون إلى جوار الشلال عندما انفصلت الحبشة عنهم في الدولة الثانية عشرة استعادت مركزها الحربي إلا أن ارتقاء أسوان المعدودة من جملة أحيائها على الحدود بين الحبشة ومصر على عهد الدولة الفارسية ثم على عهد الدولة اليونانية قد أضر ضرراً بليغاً بحالتها كما سقطت على عهد الرومان ولم تكن على عهد الفتح البيزنطي والعربي غير أنقاض وقد بقي من المعبد الكبير قطعة من بابها أنشأها توتوسيس الثاني وجددت على عهد الإسكندر الثاني ولا يرى من عادياتها إلا صخور مشتهة بين خرائب المدينة أو مسدودة بالرصيف القديم ومقياس النيل الذي جدد على عهد القياصرة وعني بأمره أحد علماء الفلك من العرب محمود باشا الفلكي سنة 1870 وقال بوليه في معجمه التاريخي والجغرافي أنه كان في جزيرة أسوان قديماً معبدان جميلا نورد عهدهما إلى زمن أماتاهوتو الثالث وقد خربا سنة 1818 لتبنى بأنقاضهما تكن في أسوان.

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان وأسوان بالضم ثم بالسكون وواو وألف ووجدته بخط أبي سعيد السكري بغير الهززة وهي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيده وهي في الإقليم الثاني طولها سبع وخمسون درجة وعرضها اثنان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة وفي جبالها مقطع العمد التي بالاسكندرية. قال أبو بكر الهروي وبأسوان الجنادل ورأيت بها آثار مقاطع العمد في جبل أسوان وهي حجارة متعة ورأيت هناك عموداً قريباً من قرية يقال لها بلاق أو براق يسبقها الصقالة وهو مائع مخزج بحمرة ورأسه قد غطاه الرمل فدرعت ما ظهر منه فكان خمسة وعشرين ذراعاً وهو مربع كل واحد منه سبعة أذرع وفي النيل هناك موضع ضيق ذكر أنهم أرادوا أن يعمنوا جسراً على ذلك الموضع. وذكر آخرون أنه أخو عمرو السواري الذي بالاسكندرية وأشار ياقوت إلى ما بأسوان من الصور المختلفة وأنواع الأرباب وقد ذكرها البحري في مدحه خمارويد ابن طولون بقوله:

هل ينقيني إلى رباع أبي الجي ... ش حظار التغوير أو غرره

وبين أسوان والعرا ... ق رعية ما يغيبها نظره

ونسب إلى أسوان قوم من العنساء وقال المقريزي في الخطط ما يقرب من هذا القول في أسوان وبتطويل أكثر. هذه هي أسوان وقد قرأنا في جريدة الطان للنسيو كلرمون كانوا من أعظم عنساء الآثار الشرقية في الغرب فصلاً وصف فيه ما عثر عليه من آثار تلك الجزيرة الأزلية فرأينا تعريده مع مراعاة الأصل قال: إن مجموع الاكتشافات الحديثة التي ظفرنا بها في هذه الجزيرة قد وقعت بين العنساء أعظم موقع وهي قم تاريخ التوراة في الغاية. هذه الاكتشافات اليهودية لم يعثر عليها في طور سيناء مهد

اليهودية ولا في القدس مقرها بل عشر عليها فينا وراء ذلك من البلاد على تخوم مصر والنوبة على بضع دقائق من دائرة الانقلاب في جزيرة لنشلال الأول على النيل في مكان لم يكن يتوقع أن يرى فيه رب إسرائيل يهوه بعيداً إلى هذا الحد ويرد عهده إلى خمسة قرون قبل المسيح. وقد قام يقول لنا بلسان من يتعبدون به ممن رافقوه إلى تلك البلاد من أبناء إسرائيل أموراً جديدة ربما تغير بها تفسير الكتاب المقدس وبذلك صح لنا أن نقول أن النور جاءنا من الجنوب اليوم ولم يكن ينتظر أن يجئنا بعد منه شيء.

ومعلوم أن بلاد الفراعنة ما زالت قديماً وحديثاً محصية بضروب الاكتشافات الأثرية فهي البلاد التي أزهز فيها ورق البردي فكانت ميداناً مباركاً لعلم الآثار آتانا ولم يبرح يأتينا بكتابات قديمة خطت على هذه المدارج الرقيقة من ضروب الكتابات المصرية واليونانية واللاتينية والقبطية والعربية وغيرها فكان لنا منها كنوز أدبية حقيقية في صورة أوراق من البردي ولنا منها كل يوم قطعة جديدة ومادة ندهش بها ونسهر. فبالأمس اكتشفت قطع من روايات مياندرا الشاعر الهزلي ففرح بها أهل الأدب. وقبلها بقليل كان اكتشاف آثار للنسح تصل بنا إلى أصول النصرانية وما يدرينا ماذا خبأته لنا مصر غداً من الآثار ولعل اكتشاف اليوم سيكون تورااة أقدم من التورااة المعهودة وإن ما اكتشف حتى الآن ليدعو إلى الأمل في ذلك.

ولكي نمثل لأنظار طبيعة الصكوك اليهودية وخطارتها التي ظهرت للوجود في أسوان تقضي الحال بأن نرجع قليلاً إلى البحث في المسألة من أصلها. فقد كانت مصر عجيبة بما اكتشف فيها من أوراق البردي التي كتبت عليها لهجات أجناس من البشر مختلفة كثيرة ممن تعاقبوا احتلالها فينا سلف إلا أنها ضنت إلى اليوم كل الضائلة بإخراج

كتابات باللغات السامية القديمة النهم إلا بضعة عشر قطعة من البردي كتبت بحروف آرامية عشر عليها منذ نحو ثلاثين سنة. ولئن اختلف علماء المشرقيات في أمر هذه الكتابات لصعوبة حلها فالرأي اجمع عنده يكاد يكون متفقاً على أمر واحد وهو أن تلك الأوراق هي من عهد البطالسة اليونان كما هو الحال في بعض النقوشات على الحرف والمزبورات على الحجر المخطوطة بنقطة وحرف مشابه لها مما عشر عنده حتى الآن في مصر.

وإذا سمح لي الزمن منذ سنين بالتوفر على البحث في هذا الموضوع تبين لي حل آخر يخالف رأي غيري واستندت على أمور مختلفة استنتجت منها بأن جميع هذه الصكوك الآرامية يجب الرجوع بها إلى أقدم مما قدر لها من العصر أي إلى عهد الفرس الحجمنانيين وعهد دارا وكسر كس وأرتاكسر كس.

وإذا صح أن الأمر كذلك فيكون منها أثر تاريخي لأنها لم تقف عند إبدال شيء من التاريخ بل يكون منها تغيير تام في الخيط السياسي والديني. تبين لي هذا الرأي المخالف للآراء كلها من تأويل إحدى قطع تلك الأوراق من البردي المكتوبة بالآرامية المعرفة ببردي تورين فقد قرأت فيها رأس محضر رسمي أرسل إلى أحد المرازبة في مصر وعليه اسم ميتراوهيشت وهو اسم آرامي لا محالة. ورأيت تناسباً في التعبير المستعمل بين هذا المعروض وبين الذي أرسله إلى الملك أرتاكسر كس حاكم بلاد السامرة بشأن منع إعادة بناء معبد القدس الذي شرع فيه اليهود ثم تم على يد نبحينيا وهو المعروض الذي حفظ بنصه الآرامي في كتاب أسترادس المتعلق بالتوراة. وظاهر أن هذا الاستنتاج التاريخي يتناول مجموع النصوص الأخرى المماثلة لها التي صدرت في تلك

البلاد ولم تثبت أن تحقق أمرها بما قُيِّم لها من الاكتشافات المتعاقبة في مصر وغير ذلك من الكتابات والرقوق

الآرامية التي كتب عليها التاريخ بحروف جلية من عهد كسر كس ودارا وأرتاكسر كس فثبت ما قلناه بالبرهان.

ومن جملة أوراق البردي المكتشفة مؤخراً ورقة ذكرت فيها بعض الحوادث التي حدثت سنة أربع عشرة لعهد الملك دارا الثاني الموافقة لسنة 411 قبل التاريخ المسيحي وقد غلط المسيو أوتنج أحد علماء الألمان الذي عهد إليه نشر هذه الأوراق في قراءة عدة فقرات منها وإذا أخذت أنظر فيها بعده تبين لي أنها عبارة عن شكوى عامة أو معروض عام أرسلته إلى المرزبان في مصر جماعة من غير المصريين وربما كانوا من اليهود لإقامة الحججة على اعتداء مدرسة الكهنة المصريين وعبثهم بقبور الرب خنوم في جزيرة أسوان وبذلك عرفت هذه الجزيرة بأنها مركز سامي آرامي جليلة القدر جداً من العهد الفارسي لاسيما وقد أسعد الحظ باكتشاف صكوك مماثلة لها. وقد أرادت الحكمة إذ ذاك علي المبادرة في الحفر والبحث في تلك الرجاء التي هي كالمعدن المسنوء بالخيرات ولكنني كنت كمن يعط في قفر أو يصرخ في واد. وما جاء ربيع سنة 1904 حتى تبين لي لم أكن ضالاً فيما دعيت إليه فعثر بالعرض بعض الوطنيين ممن كانوا يحفرون في خرائب أسوان في تربة نشادرية يستعملونها سياحاً ويستعملونها في تسديد الزرع على نحو عشر قطع من أوراق البردي مطوية مختومة فبتاعها في الحال المسيو موند والادي ويليام سيسيل وكانا إذاً في مصر وبعد مدة نشرها المستر كوني في كنية أكسفورد. وكان فيها نصوص سائلة عظيمة بحروف

آرامية لطيفة تشبه القطع المعروفة حتى الآن من كل وجه وكنها بلا شك من صنع اليهود النازلين في جزيرة أسوان ومدينة أسوان الواقعة على الشاطئ الشرقي لنيل أمام الجزيرة. لا جرم أن هذا الحادث مهم في ذاته ولكنه ليس مما يدهشنا لأننا نعرف بأن اليهود في سفر الخروج تركوا لغتهم العبرانية القديمة الوطنية وتعلموا اللغة الآرامية وكتبوها وكانت هذه اللغة شائعة في مديريات المملكة الفارسية. كما ترك اليهود أموراً كثيرة أخرى ليس هذا محل ذكرها.

هذه الخطوط المكتوبة على البردي هي حجب حقيقية مسجدة غريبة للغاية يرد عهدها بالتدقيق إلى كسر كس وأرتا كسر كس ودارا بالسنين والشهور والأيام مع بيان موافقة حساب السنين الآرامية والمصرية وهي مرتبة على ستين سنة مضت بين سنة 470 إلى سنة 410 قبل المسيح وقد دونت بطلب الأحزاب بمعرفة أحوال اليهود ووقع عليها توقيعات جملة لتتصدق عليها بشهادة كثيرين وهي تدور على مسائل كثيرة في التعامل كالبيع والشراء والهبّة في العقارات والأراضي ومسائل الأسواق والأحكام وحل الاختلافات أمام الحاكم أو على طريقة ودية وعقود زواج ونظر في مسائل الطلاق مع خلاصتها الشرعية سواء كان للزوجين أولادهما أو وصف من أدق ما يكون وأفيد لجهاز المتزوجين وتقدير أثمانه قطعة قطعة والمواريث وقسمة العبيد المتقنين بالإرث إلى غير ذلك.

وبعد فإن مجموع هذه المستندات المنقطعة القرنين التي ظهرت سالمة في بعض دفاتر بعض البيوت قد أتتنا بحيلة من الفوائد هي غاية في مكانتها وذلك لأنها دللتنا على وجود شعب عظيم من الإسرائيليين في أسوان قبل المسيح بخمسة قرون وعرفتنا بلغته

وكتابتة وأخلاقه وأوضاعه ومعتقداته وصلاته مع الحكومة الفارسية والشعب المصري وغير ذلك. ومن جملة المسائل التي تتحل بواسطة هذه الأوراق أو توضع موضع البحث مسألة دورها كل المسائل ألبا وهي التي لها علاقة برب إسرائيل وما له في تلك البلاد من الشأن. فقد رأينا اسمه مذكوراً فيها عدة مرات بدون حرج كنا صار ذكره بعد. فكان القوم هناك يقسمون برب إسرائيل كنا يقسم

بالآرباب المصرية (كانت سالي ربة جزيرة أسوان) عندما يراد القسم ثم أنهم لم يبالوا بالخطر التقليدي عليهم وأنشئوا في ذاك الرجا البعيد معبداً لرب إسرائيل غير مباليين أن ينافس معبد القدس وليس المعبد الذي أقاموه عبارة عن كنيس بسيط أو مصنى صغير بل هو معبد حقيقي مستوفٍ للشروط وفيه مذبح تراق فيه دماء الضحايا ويصعد منه دخان البخور كأن اليهود إذ ذاك في هاتيك الجزيرة هم في عهد عزهم واسعد أيامهم كنا كانوا في صهيون.

أصغت الحكومة الفرنسية لطلبي وأرسلت بعثة علمية تحت رئاستي إلى أسوان في السنة الماضية للبحث عن حارة اليهود فيها أو لتحديد موقع معبد رب إسرائيل إن أمكن وكانت هذه المسألة من أعقد المسائل لأن معرفة موقع المعبد كانت معلقة على معرفة ما إذا كان موجوداً في مدينة أسوان المنفصلة عن الجزيرة بذراع من النيل أو على العكس كنا كنت أظنه في الجزيرة نفسها. وأنا أقطع مذ الآن أن المسألة مبتوتة في هذا الشأن.

ولقد دامت الحفريات أربعة أشهر يعاونني فيها أخلص تلاميذي وأقدمهم المسير كنيدا فقامسينا في عملنا عرق القربة وكانت أعمالنا لأول عهدنا تدعو إلى اليأس ولاسينا

فينا يتعلق بغايي الخاصة. وذلك أنا لما وصلنا الجزيرة رأينا بعثة ألمانية قد سبقتنا إليها منذ سنة واختصت دوننا بطبيعة الحال بالموقع الحسن لإجراء الحفر واختارت أقدم بقعة يرجح أن يكون فيها خير كثير ويسهل على المعاول أن تحفر فيها.

فاكتفينا بما أغفلته تلك البعثة من الأراضي وأخذنا نحيل فيها قدام أنظارنا ونضرب فيها معاول عمالنا ولم يأتنا الحفر مدة شهرين بغير بعض الآثار المصرية واليونانية ولكنها كانت بكثرة ونادرة بنوعها ومنها عدة مسلات فرعونية ومثالان جميلان لتؤمس الثالث مصنوعة من حجر الكرانيت الأسود ولأسمينا قبر الرب خنوم أوشنوب أكبر أرباب أسوان وهو الذي لم يكن على اتفاق مع اليهود الذين وقعوا على الشكوى المذكورة آنفاً. وعثرنا على قاعدة تحت الأرض لم تؤمس بأدى تحتوي على نواويس من الكرانيت والحجر الرملي جعلت عليها أغطية مذهبة وجمدت بأجمل زينة من الصور والنقوش وهناك خمسة عشر كيشاً مخططاً مقدمة لثور أبيس على نحو ما اكتشف مثلاً من ذلك قديماً ماريت الفرنسي في مدينة منفيس.

كل هذا حسن ونافع في ذاته ولكنه لم يقف دون غرضي. لأنني لم أتحمل مشقة السفر إلى أسوان للبحث عن العاديات المصرية بل للبحث عن الآثار اليهودية. وبعد أن كدنا نصل إلى أخريات وقت بعثنا عثرنا بعد الجهد الجهد على حارة اليهود الآرامية وظفرنا بكسبة من النقوش المزبورة على الفخار مغشاة بكتابات آرامية يهودية. وقد كتب معظمها في وجهين. وهذه الكتابات النادرة على كثرة الحرق فيها قد أطلعنا على جزء من المراسلات الودية اليومية التي جرت بين يهود جزيرة أسوان وأخوانهم يهود مدينة أسوان وقد كتبت في زمن واحد هي وأوراق البردي الأنف بيانها وبخط

واحد ولغة واحدة حتى أن جملة الموقعين عليها نفس الأشخاص الذين عرفناهم بتلك الأوراق البردية، وذكر فيها اسم رب إسرائيل بصورة من الإملاء خاصة لم تكن تعهد. ولا شك أنه متى تمت قراءة هذه الآثار الفخارية نطبع على أمور جديدة بالنظر وكبيرة الخطر والقيمة.

وقد كان داهمنا الحر بحينه ورجله فأوقفت العمل في شهر أبريل واستعادوه بعد أسابيع بفضل ما جاد به الخبع العلني ووزارة المعارف من المال وما مد به يده من المساعدة رصيفي المسير أدمون روتشيد وإني على ثقة من أننا نوفق هذه المرة إلى الظفر بموقع معبد رب إسرائيل وقد اكتشفت البعثة الألمانية التي كانت تعمل بالقرب من برئاسة المسير روبنسون أوراقا من البردي الآرامية اليهودية ووكل أمر قراءتها للمسير ماشو من برلين وقد نشر كلامه على ثلاثة منها. وأهمها صك رسمي ذو شأن عظيم يفيد فوائد كثيرة في تاريخ اليهود والتوراة وهذا الصك عبارة عن محضر مؤرخ في اليوم العشرين من شهر مارهزوان من السنة السابعة عشرة لحكم دارا (408 قبل المسيح) بعث بها إلى السيد باكوهي وإلى القوس في بلاد فلسطين أرسلها إليها يدونا ووصفاؤه من كهنة أسوان باسم جميع تلك المدينة من اليهود ولقد أتى الموقعون على ذلك الخضر بعبارات تكاد تكون بمعناها مشاككة لما في ورقة البردي المعروفة باسم تورين وكنها دائرة على الدعاء له بأن يمنحه رب إسرائيل بركاته ودعاء له أن يحفظ عليه رخصا دارا مولاه ورضى الآل المنوكي وقد ذكروا له أن الكهنة المصريين لتعبود خنوم في أسوان قد كادوا لهم مكيدة عندما تغيب مرزبانهم في مصر المدعو أرسام الذي كان قصد الملك بدعوة منه وتربصوا بهم الدوائر عند واليها المدعو ويدانج الذي رشوه بالمال

فحصلوا منه على أمر يوعز إلى قائد أسوان العسكري أن يذهب لتخريب معبد رب إسرائيل في جزيرة أسوان قائدين أن هذا المعبد كان أنشئ قديماً على يد آبائهم وكان موجوداً قبل أن يفتح كنيس مصر فلم ير بداً من احترامه على حين خرب سائر معابد المصريين ويفهم من ذلك ضمناً أن المعبد كان بناءً هتلاً مبنياً بالحجر النحيت وهو ذو سبعة أبواب أثرية وعند من الحجارة وسقف من خشب الأرز. وقد نفذ أمر الوالي ويدرانج بلا شفقة في الحال وأعان الجند جمهور من المصريين فخرّبوا المعبد المقدس وحرقوا ما فيه وحطّوه ونهبوا الأواني الذهبية والفضية وسائر الأعلاق النفيسة. فعم الحزن سكان أسوان بأسرهم رجائهم ونسائهم وأولادهم من أجل خراب معبدهم ولبسوا الحداد وأخذوا ينتحبون بكاءً وصاموا وضرعوا إلى رب إسرائيل أن ينتقم من الظالمين. واضرب القوم عن التزين وتعاطي الخمر فأصبح النساء كالأيامى. وبعد حين نكب الوالي زيدرانج وجاد بنفسه مضطراً وهناك جميع من نفذوا أمره ف يخرّاب معبد أبناء إسرائيل فكفروا بذلك عما جنت أيديهم بيد أن أصحاب الخضر لم ينالوا إلى ذاك اليوم على كثرة ما بذلوا من المساعي وخاصة بإعادة بناء معبدهم بحيث قضوا ثلاث سنين في حزن لأهم لا يسكنون من تقديم الضحايا الدينية وإيقاد البخور وعرض الذبائح على معبد رب إسرائيل. وعبثاً توسلوا أيام نكبتهم بخراب معبدهم بياكوهي وإلى بلاد اليهودية ويوهوهان الكاهن الأعظم في القدس وبسائر الكهنة رصفته وبأخيه أستان أناني وأمراء اليهود في فلسطين فلم يأتهم جواب ولذلك وضعوا آمناهم ثانية في ياكوهي أن يرضى عنهم ويجعلهم في حل من إعادة بناء معبدهم في أسوان كما كان من قبل وهم لقاء هذا المعروف الذي يسديهم إياه يقدمون لاسم الضحايا إلى

رب إسرائيل على المذبح الذي يقيمونه لتسجيده وعبادته قالوا وأن جميع يهود أسوان رجالاً ونساءً وأولاداً لا ينفكون يباركون على ياكوهي ويدعون له ثم هم زيادة على الضحايا والذبايح يقدمون له دخلاً قدره ألف بدرة من الفضة كل عنك الذهب الذي أخبروه بأنهم سيؤدونه إليه إذا رضي بإجابتهم (ما أقدم البخشيش في الشرق) وذكروا في الختام بأنهم أطلعوا على ذلك كنه كلاً من دلایاح وشلنایاح ابني سانالایات حاكم بلاد السامرة وأن الكاهن أرسام لا يعرف من ذلك شيئاً.

أما الصك الثاني فيكاد يكون محرقاً كنه ويحتوي مع بعض اختلاف على صورة ثانية من هذا الأخضر الذي احتفظ مرسلوه بصورته ومسودته. وفي الصك الثالث عبارات كثيرة تشير إلى أن يهود أسوان رخص لهم بإعادة معبدهم بفضل توسط ياكوهي ودلایاح فأعادوه إلى ما كان عليه وعمره بالعبادة ومما لا شك فيه أن بعض الأوراق التي لم تقرأ قد ذكرت فيها أكلاف المعبد ونفقات بنائه.

وهنا لا أرى بيان فائدة هذه الأوراق وموقعها من نفوس العنساء فقد أحييت في نظرنا رجالاً اشتهر أمرهم في التاريخ وهم من الطراز الأول وذكر فيها اسم يوهوهانان الكاهن الأعظم في بيت المقدس وسانالالات والي السامرة وهما مذكوران في التوراة ووالي اليهودية ياكوهي وقد ذكره فلافيوس جوزيف المؤرخ اليهودي باسم محرف عن اليوناني وهو ياكواس وهذه الورقة هي صفحة صحيحة من عهد حوادث ينبغي إضافتها إلى سفر نيجينيا. فهل يكون من حظ البعثة الفرنسية أم من حظ البعثة الألمانية يا ترى الظفر هناك بتوراة يرد عهداً إلى ما قبل المسيح بخمسة قرون في حفرياتنا الجديدة؟

مطبخ الفقير

من مبحث لندكتور فيليكس رينول في الجدة الباريزية
طعام المتوحش غليظ كسبته

أصبح أفقر البائسين لعننا في مأمن من الجوع على أن المتوحش لا يزال عرضة
للسجاعة لا لأن الطعام المدخور عنده قليل بل لأنه يجهل الزراعة وتربية الماشية
وتختلف موارد عيشة من الصيد والقنص كثيراً إذ ليست أبداً منه على طرق الشام.
وما مثل المتوحش إلا كالجوارح الكبيرة من السر والفهد يصيد الصيد تلذذاً بالقتل
وهو لا يحسب لتغد حسابه ولما كان على جهل بطريقة تخفيف اللحم والتقديد أصبح
من الصعب عليه أن يدخر اللحوم لأوقات القنص. وهناك أمور من الخرافات المضحكة
تريده بلاء وذلك أنه يرى بعض الحيوانات مقدسة ويعتقد أنها اجداد قبيلته فإذا رآها
اتخذها طوطمه وحاميته ويعد نفسه إذا قتلها كأنها خرق الحرمه وعيث بأقدس
المقدسات. يتقزز المتوحش من جميع الأطعمة التي لم يعتد تناولها قد فإن تغذى بلحوم
الصيد تأنف نفسه من تناول السمك وإن اغتذى من السمك يعاف اللحم. ومع هذا
تراه يعند إلى اختيار الأطعمة الغليظة. إن جاع عمد إلى الحبوب البرية والجدوع
الحشبية واسترط الحشرات والديدان وأخذ القمل عن أخيه يقضده. ومعلوم أن لا
شيء يخلو من صولة مغذية حتى التربة الصلصالية التي تغتدي منها ديدان الأرض
أحسن تغذية والإنسان يسير على مثلها فيكون من أكلة التراب ولكن أمعاه لا
يقضها فيتنفخ بطنه ويحدث التهاب في الأحشاء يكون منه الموت.

إذا أسعد المتوحشين الحظ فقتلوا حيواناً كبيراً أو صادوا سمكة ضخمة يقعون عليها كالحوانات الجائعة. فقد وصف لنا أرباب الرحلات شراهمم الحيوانية فإن الصائين من قبائل الهوتوت في أفريقية الشرقية إذا ضربوا فرس بحر يفتحون جثته وهو حار ويأكلون أحشاؤه كما تأكلها الكلاب. وإذا سقط حوت على الشاطئ يخف سكان أستراليا الجوع عراة كيوم خلقوا وينغمسون في الدهن وينعون قطع الحوت الكبير بنعاً ولا يرجعون عند إلا وقد امتلأت كراشهم وشبعوا وانتفخت بطونهم فينامون بعد ذلك طويلاً. بيد أنه لا يجب علينا أن نسخط مما ينعنا عن أولئك المنحطين في ستم المدنية فإن فلاحينا يأتون في ولائهم من الإكثار من الطعام والشراب ما لا يقفون فيه عند حد ولولا أن أنواع الأطعمة تختلف لقننا أنهم المتوحشون بعينهم.

المتوحش إذا لم يتخير رديء الأطعمة فهو لا يعرف الطبخ ولا أعني بذلك أنه لا يجيد طبخ طعامه بل أنه لا يعرف كيف ينضج ولا شئ أنه لم يعهد إلى الآن قوم مهملوا انحطوا في دركات التقهقر يجهلون إيقاد النار. ولكن من القبائل من لا تحسن الانتفاع بها وهي توقد جذوة على الدوام لتظل النار عندها بلا انقطاع. ولا عهد لهم بأواني الطبخ لما ثبت من أن بعضهم يجهلون صنع الفخار فيلقون حجراً محسناً في الماء إذا أرادوا تسخينه وهم على جانب من الكسل بحيث يؤثر أن يأكلوا معظم المأكول النيئة كالديدان والهوماء والأسماك ويقضون بفكوكهم القوية الجذوع القاسية والأثمار اللينة.

قال المترجم بيريدلا سافارين الفرنسي مؤلف كتاب فسيولوجيا الذوق (1755) —
 (1826) قل لي ماذا تأكل أقل لك من أنت. وهذه الحكمة تيسر لعلماء الإنسان أن

يطبقوا عليها أبحاثهم وذلك أن طعامه قلنا يكون صالحاً للأكل وأن للتوحش فكوكة ضخمة مستطيلة وأضراساً غليظة وأعصاباً للضعف قوية. وعندما يتحضر تتحسن أطعمته وتخف قوة شدقيه وأسنانه.

يقول المسيو حنا فينو أنه ليس بين الأجناس المتبدلة من البشر فروق كثيرة وعلى العكس في الأجناس المتوحشة فإن بينها وبين المتبدلة اختلافاً كثيراً في الصور الظاهرة والخواص الباطنة وظن بعض علماء الإنسان بأن هذه الاختلافات هي على إطلاقها على أنها مما يمكن تعديله وبذلك يتسنى لنا تعليلها. ولقد كانت أول الاكتشافات في أول عهد الحضارة هي اكتشافات الطبخ فقد رفع القدماء إلى مصاف الأرباب الأذكى الذين عندهم زراعة الأرض وتدجين الحيوان وصنع الخبز وتخضير المشروبات.

إفراط المتبدلين في المأكول الأطعمة التي يتقزز منها والترغب عنها: قلنا أن المرء اليوم يكاد يكون في مأمن من الجوع ولكن الشر الذي عجز الوجود أن يسومه إياه أصبح خاضعاً له بواسطة الحروب محتاراً. فإذا حوصرت مدينة يعبد الجوع من أهلها إلى تناول الأطعمة القذرة كالكلاب والقطط وجردان الخاري ومائر أصناف الحيوان ويذكرون أن الجند والعشب والخشب لها بعض الخصائص في التغذية وللضرورة أحكام.

تجد مائدة الفقير في الأوقات المعتادة معشاة بالأطعمة التي هي أكثر تغذية والطف طعوماً مما يقنع به أخوه الفقير الحقيير ولذلك يستهين بالأغذية التي تطيب بها نفس أخيه المتوحش فتعاف نفسه الحبوب وجذوع الأشجار والحشرات والديدان وكل ما يدب

ويطير عنماً منه بأن مثل هذا الغذاء لم يخلق له. على أن جودة التحضير قضت على الفرنسيين أن يتناولوا أفخاذ الضفادع والحلزون. والإنكليز يتقوزون من الفرنسيين مع أنهم لا يستنكفون من تناول فطير الغراب.

الفقير كالمترحمش عدو التجديد في كل ما له علاقة بغذائه يأبى تناوله أحسن طعام لم يعتده منذ طفولته. ولم ننس ما قاساه بارمانيه في القرن الثامن عشر حتى صير البطاطا مألوفاً بالاستعمال بين الناس. وقد مضت أعوام قبل أن يقبل الفقير باستعمال لحوم الخيل مع أنها مغذية جداً ولا تزال إلى الآن في جهاد حتى يألف الناس استعمال السنين النباني المستخرج من الجوز الهندي على أن في استعماله اقتصاداً وهو سهل الهضم لذيد الطعم يأبى العنينة الاعتماد عليه وبعض أهل الطبقات الوسطى تقبل عليه.

نحن كالمترحمش نسرف في الطعام ويصعب تقدير كنية الطعام التي تلقى كل يوم في عينة الفضلات ولينا نحسب الأربعة البائنة التي تطرح طرح الزوائد وليت جمعيات الإحسان تتسكن من جمعها لتعمل بها ثريداً أو حساءً لألوف الفقراء. ولا يخلو واحد فينا من الإسراف في الطعام حتى الجند في ثكنهم فإنهم ينقون بفتات الخبز الأسم. أما سائر الأطننة فلا ينفع بها لكثافتها على أن فيها ما لا يزدرى به وينفع كل النفع. فملاً كل صباح في أسواق باريز عجالات الصوالات والفضلات بمواد يسهل استعمالها وذلك أن القوم يطرحون رؤوس الأسماك ولا سيما (الكابيلو) و (الكولين) ولو أخذت لصنع بها حساء لطيف.

وربما اعترض معترض فقال إن هذه الفضلات قليلة وإذا صارت تباع ترتفع أسعارها على أننا لو فرضنا أن رأس سمكة الكولين بيع بخمسة وعشرين سنتيماً وصرف في الـ

والطماطم والبصل والبقدونس والصعتر والملح والثوم والنار فرنك يكفي الحساء المستخرج من هذه الصورة بفرنك واحد لإطعام ثمانية أشخاص.

نعمل سلاطة مقبلة بأوراق القصبأرون (سفورجنت) وإن سفير (الأوراق الذابتة) الفجل إذا استعملت كما يستعمل السبانخ تطيب وتلد وإن الجزء الأخضر من الكرات الذي يطرح في العادة يمكن الانتفاع به في الحساء حتى أن الأوراق الخارجية وبقايا (قرمية) الملفوف تحتوي على مواد مغذية. نعم إن الناس يخشون من أليافها الصلبة ولكن إذا أجيد طبخها وأطيل الإطالة اللازمة ومسحق مسحقاً كافياً لا يخشى منها. والناس يلقون أيضاً فضلات رؤوس البقر على حين تستخدم في زيادة طعم حساء البقول ولكن العامل يصنع منها مرقاً بالخضر وهو لا يعرف إلا المرق المطبوخ بالبقول الناشفة المقسمة أحسن تقسيم ويأبى إياؤه أن يغذي بمثل هذه الفضلات.

وهناك بعض المواد يمكن الانتفاع بها في الغذاء على شرط أن تحضر تحضيراً خاصاً ولطالما بحث الباحثون من أجل الانتفاع بالألياف العظمية فإن الكلب يأكلها جيداً وإذا لم يستطع الإنسان أن يجري على مثاله فذلك لأن ماضغيه وأحشاؤه ضعيفة. ولقد حاول كثيرون منذ قرون أن يتفعوا بالعظام أو بالهلام (الجلاتين) المستخرج منها ليطعموها الفقير واستعملت طريقة الكيساوي (أبرت) في استخراج الهلام من العظام لحفظ المأكولات ولكن الجلاتين أقل تغذية مما كان يذهب إليه الناس من قبل فهو يزيد الحرارة في الجسم ولكنه لا يقوى على تقوية أنسجتنا ولا تجد فيه خاصية اللحم والأيوميد وإذا تغذى الكلب بالجلاتين خاصة يموت لساعته.

جمود الفقراء وغيرهم على أحسية واحدة

يقول علماء الاقتصاد حيشما يخرج رغيف يولد إنسان. يريدون بذلك أن سكان كل بلد على نسبة غناها في غذائها وإذا كان الجمهور يزهّدون في جميع هذه المواد النافعة في التغذية التي تكثر سواد الناس أما في طاقة دور الإحسان أن تستخدمها وتحسن استعمالها كانت العقيدة روبرت أول من فكر سنة 1840 في تحضير وجبة طعام لفقراء باريس لقاء أربعة فنوس وطعامها مؤلف من حساء بالملفوف وقطعة من الشريد والخبز وقدح من الحنبر. ثم كان عقيب ذلك أن صار يقدح حساء بلا مقابل للفقراء وكان بريان أول رجل من أصحاب مطاعم الفقراء أخذ يوزع الطعام على المساكين. ومع ما دخل هذه المطاعم من الأدوات التي قسّمت الأظعمة أسرع من ذي قبل وعلى صورة أحسن مثل أدوات القطع والقروم والسحق فإن هذه المطاعم لم ترق الارتقاء المطلوب وأمثال هذه الأدوات تستخدم للانتفاع بالمواد التي تطرح ولا تستعمل بالنظر لصلابتها وذلك بأن تحينها إلى ثريد يسهل تشبيهه بالشريد المعروف وهكذا الحال في أنواع الأظعمة فإن مطاعم الشعب لا تبحث لصنع حسائها عن الحبوب التي تكثر تغذيتها وتقل قسيتها كالأرز والشعير والقرطمان.

ولعل هذا ناتج من أن للفقير من عزة النفس ما يجعله يأنف من بعض الأظعمة حتى أنك لو قدمت له طعاماً مؤلف من الفضلات اللذيذة لرأى في المسألة نظراً. وكثير من الفنادق توزع بقايا الطعام على الفقراء. وقد قال أحدهم يوماً وخدام أحد الفنادق يريدون أن يطعموه: إنهم أكلوا الأطياب ولم يتركوا إلا الأخابث. وأظهر من هذا صراحة ما قاله الدكتور فيرون: أريد أن أعرف ماذا جرى للكساة فإنني لا أجدها قط.

إلا وأن كل اختراع في هذا السبيل ليصعب ويسوء قبوله بين هؤلاء الزين وما أظن أنه لو قام أحد الخسنيين في هذا القرن وأنشأ يطعم الفقراء من الفضلات التي تطرح في الأزقة على طريقة عنسية إلا ويكون شأنه شأن سويدي الفرنسي منذ ستين سنة. وهذا الرجل كان من أعظم الطهارة اشتهر في وقته وله شراب منسوب إليه كما له مرق اشتهر به فقد كان مديراً لمطابخ ريفورم كنوب في لندن فزعم أنه اكتشف طريقة لمكافحة القحط في إيرلندا وأسس في أحد شوارع دوبلين بأمر الحكومة مطعماً للشعب واحتفل بافتتاحه فحضر الاحتفال جمهور كبير من الناس ومنهم رئيس أساقفة دوبلين ونائب ملك إيرلندا وقدم للناس سبعة أنواع من الطعام على أحونة لطيفة وفي أوان حسنة وكانت نكهة أنواع الحساء تنبعث كالعطر واستطاب الناس تلك الأحسية وأقبلوا على محله إقبالاً غريباً يفدون خصاصاً ويروحون بطناً. دام الحال على هذا الموال شهراً وأولت الولايم لسويدي في المدينة حتى أن نائب الملك دعاه لتناول الطعام على مائدة. وأخذ الفقراء يباركون اسمه لأنه كان لهم بمثابة المسيح الذي أنقذهم من مخالب الجوع والمحنصة وفي خلال ذلك عزم دار الندوة أن تقرر إنشاء مطابخ للشعب تشبه مطاعم سويدي في بلاد الأقاليم إنقاذاً للناس من فتكات الجوع وعندما خطر لسوئنه أن ينشر كراسه يكتب فيها كيفية تحضير هذه الأنواع من الأحسية قائلاً أن لحومها قبيحة وكثير منها حال من اللحم بالمرّة فقامت الجرائد المعارضة تشهير عليه حرباً عواناً قائلة أن أنواع هذا الحساء لا تغذي طاعنها وتفسد بنية الإنسان وينشأ عنها أمراض شديدة بل مهنكة وذهبوا إلى أن انكسروا رأيت في هذا الطعام القتال أحسن واسطة لإلقاء السلام في إيرلندا للتخلص بصور شريفة من ألوف البائسين

المعربين لأن وجودهم كان على الدوام سبب القلق على سياستها وحملًا ثقیلاً على الميزانية، فاضطر صاحبنا سويده إلى السفر خلسة توفياً لما يذقده من الأذى وربما كان صلب.

تعليم العامل كيف يحسن ابتیاع طعامه وإجادة طبخه
لستنا ندعو الخاویج وحدهم إلى الانتفاع من عثم التغذية بل أن العامل والمتوسط على اختلاف طبقاتهما بل جميع أبناء الوطن يتيسر لهم أن يستفيدوا منه فقد أجاد لاسال أحد زعماء الاشتراكية في ألمانيا (1825 — 1864) بقوله أن المسألة الاجتماعية هي أولاً مسألة طعام وأكل. وقد أثبت الأطباء لاندوري ولاي وروم هذه النظرية التي قال بها ذاك الاشتراكي فإذا كان السبل منتشرًا في المدن الكبرى فهو ناشئ في الأكثر من قلة التغذية ويضاف إليها أسباب أخرى من البؤس والتعب والإدمان على الشراب والعادات الرديئة.

والذي يظهر لمن ينظر في الأمور نظراً سطحياً أن العامل يغتذي أحسن تغذية ويختار أجود أنواعها وأن امرأته تبتاع لبنيت يوم يقبض زوجها أجرته أحسن الحاجات البيتية فيكثر أهل البيت من الأكل ومن الغد تنقلب وليس عندها شيء فتحصل زوجها على الاقتراض ريشاً يقبض عمالته ومن أجل هذا تجد في حي الفقراء في باريس أجود أنواع البطاطا وأحلاها وأحسن أجناس السمن والسمنك فبتباع زوجته ما شاءت منها بدون حساب وكيفما اتفق لها على حين لو اشترت بالجملة ودققت في حسابها لكان ما يكلفها بالفرق فرنكاً وربعاً لا يكلفها أكثر من خمسة وثمانين سنتيماً في الجملة.

ثم أن العامل معتقد بأن كل طعام رخيص الثمن فيه ربح له وهو لا يحسب تلك الفضلات التي لا تؤكل. فمن وزن اللحم يجب إسقاط العظام والجلود الجلَامِيط والعراقيب ومن السمكة أحشاءها وحسكها ومن البيض فشره ومن الجبن قشرته ولكل خضرة نغاية ولكل ثمرة قشرة أو بزررة أو ساق عقب ثم ينبغي أن تلاحظ كمية الماء الموجودة في المواد وأن لا ينسى أن البقول الناشفة ولو كان ثمنها أغلى فإنها خير من الطرية لقلة المائية فيها ولحم العجل وإن كان أرخص من لحم البقر فليس هو أحسن منه لما فيه من المائية وقلة التغذية وهكذا لكل بقل ولحم فضلات وحتالات وعندى أن تجمع هذه المعلومات في شكل قائمة تنشر في كراسة ليعرف الناس أن مئة غرام من أضلاع العجل تعادل في تغذيتها 129

غراماً من صدره ولا يفوت الناظر قيمة السبيل والوقود. عني أن علماء الاقتصاد لا يحسبون في العادة حساب هذه النفقات ويعدونها طفيفه مع أن لها شأنًا في تحضير الطعام.

وهناك شيء آخر لا يحفل به عيال العسلة وأعني به الوقت وذلك أن نساء العسلة يشتغلن أيضاً في المعامل حتى إذا جاء المساء يضرون لأن يسرعن في تحضير الطعام فلا يجدن أيسر من البقيك والأضلاع والمشوي ولذلك يكثر استعمال هذه الأنواع في أحياء العسلة وربما ابتعن اللحم المقدد والثريد المصنوع والبقول المطبوخة الحاضرة. أما وإنه يصعب فصل النساء الفقيرات عن معاطاة الأعيال فمن العبث أن يعلنن أساليب الطبخ والتفنن فيه فما أجدر أن يعنى الطباخون بتحضير أطعمة خاصة بالطبقات النازلة بشئ بخس ومؤلفة من مواد جيدة.

من الميكلات النديزة التي ذقتها واستطبتها وهي من تحضير المسير مونتانيه ولا تكلف الإنسان أكثر من عشرة سانتيمات مربب التفاح وكيفية صنعها أن تأخذ 500 غرام من التفاح من الجنس المعروف برينت و 200 غرام من الخبز البانت و 25 غراماً من السن و 50 غراماً من السكر و 3 ديسنترات من الماء. وهذه الماء لا تكلف أكثر من خمسم سانتيماً بالجسلة وتكفي لطعام ستة أشخاص. وكيفية تحضيرها أن تقشر التفاح وتقطع قطعاً كبيرة وتقع الخبز قطعاً ناعمة وتذت أسفل الصفحة الطبق أو الصحن بعشرة غرامات من السن وترش معلقة صغيرة من السكر ثم تضع سافاً من الخبز وسافاً من التفاح وهكذا إلى أن تأقي عندهم ثم تضيف إليها ما بقي من السكر والسن وتقسّمه إلى قطع وتبلد بالماء وتضع الصفحة عشرين دقيقة في الفرن وتناول ما فيها في الحال. ثم أنه يمكن أن يجود هذا المريب أكثر من ذلك بزيادة نفقة قليلة وأن يجعل ديسنترات من اللبن بدل الماء ويضاف إليه بيضة محبولة ويمكن زيادة كمية السكر وأن تحسن رائحته بأن يوضع فيه قشرة من الليمون أو البرتقال أو القرفة.

يجب تغيير الطعام بحسب العمل وما يجب على العامل معرفته

هـب أن العامل يعرف أن يحتاج طعامه ويطلبه فإن المسائل الاقتصادية والصحية ليست وحدها هي التي تطلب حلها بل أن الأهم منها هي المسألة الفيزيولوجية التي يجب أن يكون لها مبدأ صريح إذا أراد العامل أن يضمن صحته وعمله. فإن الفيزيولوجي يعلمنا بأن الطعام يجب تنويعه بحسب نوع العمل بحيث يكون منه ثلاث منافع: إصلاح الأنسجة التي تبليها أعمال الحياة وإعطاء الحرارة التي تحفظ على الجسم حرارته وإيراث القوة اللازمة لكل عمل عضلي. فنحتاج للقيام بهذه الحاجيات

الثلاث إلى ثلاث عناصر أولية الألبومينيد من اللحم والبيض والبقول والدهن الحيواني أو النباتي وهيدرات الكربون أو الدقيق الذي يكثر في البقول فالألبومينيد يصلح من أنسجتنا والدهن يعطي الكالوري والدقيق يعين على العمل ويعطي المرء كمية من الحرارة. ولجعل التغذية على نظام مخصوص يجب أن يوضع موضع العناية لا المناخ والفصل (إذ من البين أن في الشتاء يحتاج الجسم إلى كمية من الكالوري أكثر من الصيف) ولا اختلاف أحوال الأحياء (إذا أن المرأة الحبلى أو التي توضع والولد الذي ينمو يحتاجان إلى إنشاء أنسجة جديدة فيهما) بل ينبغي أن ينظر إلى نوع العمل.

ومنذ مدة بحث الدكاترة لاندوزي وهنري ومارسل لابي في تغذية منته من العنلة والمستخدمين في باريز فكان لبحثهم دنة كبرى وذلك أنهم قسموا العنلة إلى أربع طبقات جعلوا في الأولى جميع العنلة الذين يعملون أعمالاً بدنية كالنجارين والحفارين والقفالين والحدادين الخ. هؤلاء العاملون يكثرون من تناول اللحم فيأكلون مئتي غرام في اليوم وقليلما يتناولون المعجنات المغذية والبقول ونصف لتر من الحساء ولا يتناولون سكرًا مكعبًا من الإنسنت و40 سانتسراً مكعباً من الكحول على درجات مختلفة. والطبقة الثانية العنلة الذين يعملون أعمالاً معتدلة كمن يشتغلون في المصانع أو المعامل الميكانيكية والنجارة الخفيفة والقفالين وغيرهم فهؤلاء يتناولون أيضاً لحماً كثيراً فيأكلون 225 غراماً منه وقليلاً من المواد النشوية والمعجنات المغذية والأحسية والبقول والأطعمة المعنولة بالسكر فيأخذون 400 غراماً من الخبز و7 غرامات من السكر وربع لتر من الحساء ولترًا من الخمر و50 سانتسراً مكعباً م الكحول في درجة خمسين.

والطبقة الثالثة من العسنة الملازمون للجنوس ككتاب الإدارات ومستخدمي المخازن وعسنة المكاتب التجارية وغيرهم فهؤلاء يكثرون من كل شيء ولا سيما من اللحم والألبومين النباقي والبيض فيأكلون 510 إلى 540 غراماً من الخبز و40 غراماً من السكر والشوكولاتا ولا يأخذون حد الكفاية من البقول الطرية والمأكولات العسولة بالسكر ويكثرون من المقبلات الكحولية والمشروبات فيأخذون ثلثي لتر من الخمر و80 سانتيمراً مكعباً من الكحول على خمسين درجة وعلى العكس ن ذلك فإنهم لا يشربون ماءً نقياً بقدر ما يجب ومعلوم أن الماء ينفع في تنقية الأنسجة غير العائمة في الجسم. والطبقة الرابعة عبارة عن العسنة والمستخدمين كالخياطات وبائعات الأزياء ومستخدمات الخال التجارية وغيرهن فإنهم أيضاً يرتكبون أغلاطاً كبيرة تخالف قواعد صحة الغذاء فيأكلون أطعمة كثيرة قليلة التغذية والأدام كالسلاطة والفجل والمرق المخمل والقشء والشار الرديئة وأثل من حد الكفاية من كل نوع فيتناول الفرد منهم 250 غراماً من الخبز و7 غراماً من اللحم و80 غراماً من لابقول وربع لتر من الخمر.

ولا يقوتك أن المستخدمين الملازمين للجنوس وحدهم يأكلون في الصباح قبل تعاطي أعمالهم وما عداهم فإنهم يبدأون بأشغالهم على الریق. ويرى الأطباء المشار إليهم أنه يلزم العامل الذي يبذل من قوة جسده 3600 من الكالوري كل يوم وللعامل المعتدل 12600 وللعمالین الجالسین على كراسيهم 2100 ولبائعي الأزياء 2090 وهو حد الوسط الكافي ولا ينبغي تطبيقه بالحرف بل أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص وقاماتهم ووزنهم وأعمالهم. فإذا أحب العامل

الألبومين لتغذيته فغلبه بسسك الأرنكة والجبن وفخذ الخنزير والبقول الناشفة فإنه فيها بغيته بشن معتدل على العكس من اللحم والبيض فإنها مواد غذائية تعد من نعيم البطون. ولكي يحصل على الهيدروكربون عليه أن يستعمل البطاطا فإنها في الدرجة الأولى برخصها ثم الرز والخبز والسكر والبقول والشار الناشفة. وإذا أراد الأدهان فليعتمد إلى دهن الخنزير وشحمه وأنواع الجبن والشوكولاتا.

هذا وقد عرف جميع المشرعين مكانة تنظيم التغذية وقد حرم موسى على العبرانيين لحم الخنزير والحيوانات المقدسة لفكر ديني كما حظر ما نوي على الهنود لحم البقر. وما زالت معتقدات المتوحشين بشأن الحيوانات التي يعدونها أجدادهم واعتقادهم بالطوقية موجودة إلى اليوم عند أبناء هاتين النحتين وتجعل لهذا الحظر وجهاً من الشرع. وقد كان ليكورك أول من سن للإسبارطيين أن يتخذوا أطعمة عامة يعتمد عليها كالحساء الأسود أما الآن فإن الأفكار أكثر حرية في هذا المعنى فلا تقدر الحكومة أن تستعيد أرادة الحكوم عليهم في طعامهم فليس أحسن من أن نعتمد إلى طريقة الامتناع من طريق الخطابة والكتابة وعلى أندية كليات الشعب خاصة أن تبين أمثال هذه الموضوعات وأن تشر كراريس رخيصة لنشر هذه الأفكار والتعليم الديني الذي يعلم في المستقبل هو تعليم التغذية في الحقيقة.

الأسرة

قامت الاجتماعات البشرية الأولى على مناسبات طبيعية منشؤها روابط عصبية وميل إلى أرض واحدة واتحاد في العادات واجتماع على أسباب المعاش ولم تتألف لأول أمرها إلا من أسر متفردة ثم تقارب بعضها من بعض فتألفت جماعات جدد. وما

احتيج في العقود الزوجية بادئ بدء إلى إقامة الحفلات لأن الرجل والمرأة كانا يعملان كلاهما أعمالاً شاقة تضطرهما إلى جهاد متواصل ويختلطان أكثر من اختلاطهما اليوم. وما كان يطلب من النساء ما يطلب منهن على عهد التمدن الحديث أو ما يطلبه لأنفسهن فيه من أساليب الظرف والكمال فإن هذا كله لم يكن في تلك الأدوار معروفاً كما لا يشاهد الآن في العناصر المنحطة من البشر. وكان بين الرجال والنساء من التماذج الذي يسقط دونه التمايز والنساء هن صلة القرى والأبناء ينسبون لأمهاتهم.

ثم حدثت رغبة الزواج بزوجة فنشأ من ذلك الزواج بالبيع أي بيع حقيقي عند الشعوب الأولى وبالبيع في الظاهر فيما بعد ثم نظم الزواج بأنواع التنظيم المختلف. ففسر بذلك للأغنياء وزعماء القبائل أن يأخذوا عدة زوجات ونشأ من أجل ذلك الضر بعد أن كان الأبناء يدعون لأمهاتهم. وما زال الضر أي تعدد الزوجات شائعاً في آسيا وأفريقية وذلك للعادة المتبعة في تسليم الأعمال اليدوية للنساء بحيث يكون منهن أعظم مساعد ويتفع بجهادهن أحسن انتفاع.

الطر وإن كان من طبيعته جائراً فهو خطوة نحو التقدم إذا قيس بما كان البشر يألفونه من قبل من نسبة الابن لأمه وذلك لأن الأب والأم معروفاً فيه. فقويت درجات القرابة أكثر من ذي قبل وغدا من السهل على الناظر إذا رجع إلى الماضي أن يأتي بسلسلة متصلة من الأبناء ونشأت من احترام الأجداد ولا سيما في الشرق عبادة خاصة ما زالت في بعض أنحاء على قوتها.

جرت عادة الشعوب الآرية منذ عهد بعيد أن تقتصر على زوجة واحدة وكان من نتائج هذه العادة إكرام المرأة واحترام حريتها ورضاها كل الاحترام وحل الشعور بالحب محل توحش القرون الأولى وأصبحت المرأة منكبة في بيت زوجها وإن تكن مستعبدة من حيث الأخلاق. وحدث من عواقب الاقتصار على واحدة من النساء في أوروبا نظام الأسرات ففرضت على كلا الزوجين واجبات كثيراً ما كانت موضع المناقشة وقد تعدل فيقبلها الرأي العام والقانون. وهكذا جرى عقد تبادل الواجبات بين الزوجين على غير قاعدة المساواة فاليونان والرومان لم يقولوا بتعدد الزوجات ولكنهم لم يمنعوا التسري ولطالما رأوا أن لا مانع من التزوج بامرأة غير المرأة الأصلية على طريقة نصف شرعية ولذلك لم تكن الفتاة اليونانية محررة من قيود العبودية كل التحرير فهي في طفوليتها طوع إرادة أبيها وإذا تزوجت أصبحت تحت حكم زوجها وإذا ترملت يكون أمرها بيد أقربائها أو بكر أولادها. ولم تمتاز العقيلة الرومانية على ما كان لها من الحرمة عن الرجال بأمر ولا خلصت من وصايتهم عليها.

وكان نفوذ المرأة في شمالي أوروبا بين البرابرة ضئيلاً وكذلك عند أمم السنت والغاليين وحالها أحسن بقليل عند الجرمانيين ولذلك اقتضى لها حركة عقلية قوية للاستمتاع بحريتها ولقد كانت النصرانية بتسجيدها الأمومة عوناً على رفعة شأن المرأة الأدبي وإعلاء مقامها وتكريمه أكثر مما كانت. ومع هذا فتكاد لا تخلو حالها من نقد ويوشك أن لا يكون موقفها معه بعيداً عن الحرج. ويكفي للاقتناع في هذا الباب أن يدرس المرء ما يتعلق بالمرأة من مواد القانون درساً موجزاً ليعرف حالها إذ ذاك. على أن هذه القوانين ما برح حكنها إلى اليوم نافذة في معظم المسالك الأوروبية.

فقد جاء في تلك القوانين بشأن المرأة بأن عليها أن تطيع زوجها وتفقد بعقدتها عليه جنسيتها واسم أسرتها واسم بلدها وحرية التمتع بحقوقها وليس للنزوح أن يتنازل عن الحقوق التي منحه القانون إياها ويحظر على المرأة أن توقع على عهد مدني أو شرعي بدون إذن من زوجها أو ممن يرجع إليه أمرها. وتفضل القانون عليها فسخها حق الإيصاء وهي لا تستطيع وإن تجردت عن مالها أن تكون لها صفة أمام المحاكم ولا أن تمنح مالها وتبيع وترهن وأن تأخذ شيئاً بشئ أو بلا ثمن دون توسط زوجها فيه وإذا لم يكن لها زوج فالشرع يتولى ذلك منها وإذا كان الزوج يشرك زوجته في الأموال ساع له أن يتصرف لا يبيع أملاكها فقط بل أن يملك في بعض الأصقاع وارداً لها الناتجة عن عملها بالذات.

ولا يحق للمرأة أن تنظر في مستقبل أولادها. ويحظر عليها إذا كانت أميرة منكية أن تجنس على سرير الملك في كثير من الممالك وإن دل تاريخ بعض الملكات في إنكلترا وألمانيا وروسيا على أن صولجان الملك في أيدي النساء لم يكن دونه في أيدي الرجال قوة وسطوة وقد بذلت العناية من وراء الغاية ولاسيما في العهد الأخير في تعديل القانون الذي لا يمنح الزوجة وهي في حجر الأسرة إلا شطراً محدوداً من العمل فسوخ المعارضون تلك القيود الموضوعة وعملوها بقلة حنكة المرأة وتجارها وما يعتبرها من التأثيرات النفسية والبواعث الخفية لها بدون أن ينظروا إذا كانت هذه الدواعي من الخطأ والأعمال النابية عن التدبر كثيراً ما أثرت أثرها وإن معظمها ناتج عن ذاك القانون نفسه الذي يزعم بأنه غير جائز. ولا جرم أن التعليم الذي تعلمه المرأة اليوم على قلة كفايته وغنائه إذا توسع فيه جرى تحسينه بحسب سنة العقل لا يلبث أن تظهر

نتائج في الحال. وإذا ربي عقل أم البيت المقبلة وأشعر قلبها الإحساس بما لها من المكانة ينشأ عن ذلك أساس تربية الولد الذي يطلب إليها أن تراقب تأثيراته الأولى ويديرها بيدها.

يجب أن تكون المرأة رفيقة الزوج لا خادمته. وإذا ألما شاركتها في نعيمه وبؤسه فلهما الحق أن تشاركه في حياته وأعماله وأمانته في المستقبل وأن تستند إلى معونته وحمايته في جميع الأحوال وإذا احترمت في ذاتها تظل أمينة معه فهي حارسة التقاليد البيئية فإذا خانت وأدخلت عنصراً أجنبياً إلى بيتها في وقت ضعفها فتكون قد ارتكبت عملاً شائناً توبخها نفسها عليه ويؤدي ذلك بها إلى نفاق وكتمان لا ينطبقان مع طبيعتها الشريفة وتضطرب نفسها أي اضطراب كئيب تمثلت لها فعلتها.

فالزواج على ما يتشكل لفكر عادل مستقيم يفرض أن هناك حساساً حقيقياً بين الزوجين المقبلين وألماً على كمال الاستمتاع بقواهما في المال والقدرة على العمل ليضمن بقاء الأسرة وهذا الشرط الأخير كثيراً ما يصعب تنفيذه ويا للأسف ومنه ينتج أن بعضهم قد يطيئون أمد عزوبيتهم إلى أجل غير مسمى مع ما في امتناعهم عن الزواج من الاستهتار والشذوذ. ويعقد بعضهم من العقود الزوجية كل ضعيف ضئيل يكون الداعي الأعظم فيها مصلحة خاصة وأغراض ذاتية. ومن هناك أتت المفساد وهي ناشئة من عادات رديئة وكثيراً ما تكون هي الجرائم بعينها. وقد ظهر في بعض الزواج من المتأخر في الطبائع والأخلاق ما اقتضى معه أن يتلافى أمره بالسباح بحل رابطة. وما الإذن بطلاق الزوجين المتأخرين إلا إقرار شرعي على أمر ثابت أصبح دوامه لا يطاق.

وكل ما يفصم عرى عهود الزواج وإن كان معقولا في ذاته لا يخنر من حسرة تلحق
الآبناء الذين ولدوا من أبوين يريدان الطلاق والانفصال. وهذا النظر تعين على
زوجين يرغبان في الطلاق أن لا يقدموا عليه إلا بعد التأمل الكثير ليتحاشيا الوقوع في
مصائب تربو آلامها على ما صارت إليه حالهما.

ولقد دعا تعدد الزواج المتسرع في عقده دون النظر في المستقبل والتدبر في قلة
ملائسته إلى القدح في نظام الزواج نفسه في صورته الحاضرة وتعظيم أمر الزواج المدني
الحر إذا ضمنت فيه حالة الأولاد الذين يولدون منه ببعض ضمانات خاصة فلا يقوم
الزواج بعد ذلك بإجراء شعائره المدنية أو الدينية بل بإنشاء صك بسيط تكون
شروطه معلقة على إرادة المتعاقدين. ولعله يأتي من هذا التغيير المتطرف ضرر بالطريقة
المستعملة الآن في الزواج. على أي قلت آنفاً أن الزواج الذي لا يفكر في عاقبته ويتم
الرضى فيه دون العناية بما يحدث عنه من المسؤوليات قد أصبح سائعا فليس من العبث
إذن أن يجعل للنسائيم الزوجية بعض الشروط ليفهم المتعاقدان أن كل الفهم خطارة
ما عقد لهما عليه. وبذلك يصبح احترام المرأة على أساس راسخ. فإذا كانت الوعود
التي تسبق الزواج الحر هي بحيث تضمن للمرأة مكانة اجتماعية فلا تعرضها لاحتمال
أهواء النفوس التي يصعب الاعتذار عنها فإنها لا تختلف عن الشروط الزوجية الشائعة
ولا موجب إذ ذاك للتغيير وإذا نقص من حرية الطرفين شيء ينحق المرأة من ذاك
القسط الأعظم. فهي التي تستفيد في الواقع من الزواج خاصة لأن الزواج يعود منه في
الغالب على الرجل زيادة موارد ثروته. وإن المرأة لا تستع بجملها وتستوفي شروط
التحجب إليها زمناً طويلاً فماذا تكون حالها يا ترى إذا شاخت ولم يكن لها بمقامها

الطويل في بيت زوجها والتشبع بما تستحقه من الحقوق في يحاطها ما يجعلها موضوعه الحب الدائم والاحترام من زوجها؟ فكل عقد لا يوليها حالة ثابتة لا يتأتى لها معه مهنا بلغ من جمالها وطهارتها أخلاقها أن تأمل الوصول إلى أنواع سعادات الأمومة التي هي خاصة بالزوجة الشرعية. تستدعي حالة الولد عناية فائقة من الأب والأم حتى ينمو النور القانوني في طبيعته وأخلاقه على أنه لا يستطيع أن يسير بما أمكن من الحكمة والتعقل ليحل قياده بيده إلا إذا بلغ أشده أو كاد. فالمصلحة الاجتماعية تقضي أن يعيش أبواه معاً حتى يبلغ تلك السن ويستلزم ذلك قضاءهما أعواماً معاً فإذا انقضى ذاك الدور أمكن النصح للزوجين بأن يفرقا ليبدأ حياة جديدة بعد فوات الوقت. وإنه ليرجى حرصاً على مصلحة الزوج وزوجه أن يكون الزواج دائماً ولا ينحل عقده إلا في أحوال نادرة.

قلت أنه يجب أن يفرض في الزواج وجود عواطف في الحب متبادلة بين الراغبين فيه مصحوبة بحرية التشبع بما يكفي لإعالة الأسرة ولا يلزم أكثر من ذلك في الحقيقة للأفراد حتى يكون الزواج شرعياً. وهنا سؤال وهو أنه هل تكفي هذه الشروط من حيث الاجتماع ألا يلزم النظر في صحة الزوجين لمصلحة الأولاد الذين يولدون منهما؟ أيسمح لبعض من أصيبوا بأمراض تنتقل بالوراثة أو معدية أن يعدوا زواجا وينقلوا بثقلهم وسوء غفنتهم العدوى إلى أسرة جديدة أخرى؟ هذه مسألة حرية بأن توضع محل النظر لأنها من أدق المسائل ولا يتعذر حلها لو جرى فيها كما يجري في دور تربية الحيوانات حيث يعزل السقيم عن السليم لأول وهلة أما في المبدأ الذي يستلزم أولاً العناية بتحسين النوع فإنه تحذف منه بحسب القياس الأعضاء الضعيفة

الكثيرة أو السيئة التركيب لما في وجودها من الضرر الذي يندحق باخسوع. لك أن ترجع إلى القواعد الطبيعية الظاهرة لتبرير هذا العمل فترى قاعدة الانتخاب الطبيعي تجري مجراها حولنا في ذوات الأعضاء فتشاهد أبداً في طبقة الكائنات النباتية والحيوانية فناء كمية عظيمة من الجراثيم لقلة غنائها في الخيط الذي تظهر فيه أو لضعف تركيبها عن المقاومة.

ألا يكون المرء قد عمل بسنة العقل وبما يقضي به الواجب إذا أرحأ بذاته ومحض إرادته وإخلاصه عدم إيلاء أشخاص يصبحون عرضة لعامة المصائب الطبيعية منذ ولادتهم. ومن أخطأ أن المرء لم يتأثر وجدانه من هذا القبيل. فكان الحق للأب في الأزمان السالفة أن يستحي من يولد من البنين والبنات أو يقتلهم ومتى رأى ولده ضعيفاً ضيلاً يقدمه للسوت بلا شفقة. ولقد نشأ في القرون الحديثة شعور وإن لم يكن حديثاً في الناس إلا أن ارتقاء التسدن جعله عاماً ونعني بهذا الشعور (الرحمة) في اليوم تعارض ما كان يجري سالفاً من قتل الأحياء الساقطة. لأن من لا يعجبك ظاهر حاله لفساد تركيبه الطبيعي لا يجب أن تحكم عليه بإسقاطه من المجتمع بل يتيسر أن يشغل من أعمال الاجتماع الكثيرة حيزاً يعمل فيه عبداً. فالحال تقتضي إذا إيجاد وسائل أخرى تكون إلى الاعتدال لتحسين أجناس الناس.

وقد اقترح بعضهم أن يفحص المرشحون للزواج فحصاً طبياً تفادياً من سوء الاستعمال ولو أمكن تطبيق هذه الطريقة الواقية لنشأ عنها نتائج حسنة إذ الظاهر أن تطبيق القول على العمل لا يخلو من شبهة. وذلك لأن الأهواء البشرية إذا ضيق عليها على هذه الصورة لا تلبث أن تخرج عن حد ما رسمه القانون وتعود إلى التزويد وإلى

الشهادات الطبية التي تنال بالشفاعات لتجنب هذه القيود والأوامر. ومتى أصبحت هذه القوانين معنولاً بها وتعذر الزواج الشرعي على بعض الناس لا يبنون أن يعدوا إلى الزواج الحر فيخلصون على هذا الوجه من كل قيد وسنطة.

ولا دواء لهذه الأدواء إلا التربية إذا سارت على سنة العقل وكانت الغاية منها ترقية العواطف الشخصية بالآداب العالية. فالتربية هي التي تعلم أولئك الذي حظر عليهم الزواج لضعف فيهم أنه إذا جاز القانون عليهم ولم يرض لهم الاشتراك في النسل والحب فهو يوجب عليهم إذا أرادوا الخضوع لما أوصى به الشرف والواجب أن يمتنعوا عما يجعل العاهات فيهم دائمة.

أجد تناقضاً في هذا الاستنتاج وفي شعور الآداب العالية التي دعوت إليها؟ لا أظن ذلك بل إني أعتقد أيضاً في بعض الأحوال الخاصة مثل قلة أسباب معاش الأسرة أنه يستحب لربها أن يتجنب زيادة عدد أولاده بدون روية لعنده بأنه يحكم عليهم بالحرمان والفقر منذ ولادتهم. وليس معنى هذا أن نقبل رأي مالتوس كأنه حقائق في قوله بعدم التناسب بين نمو السكان ومواد معاشهم وأن نقص التوازن بين الأحياء وما يحيون به لا بد من وقوعه على أنه إذا ظهر ذلك فيكون من عدم التساوي في توزيع الأجناس البشرية على سطح الكرة الأرضية.

ترى العناصر الإنسانية تتكاثف في بعض الأحوال بحيث يؤدي بها ضيق مضطربها إلى النزاع على صغر قطعة من الأرض التي كادت تفقد قوتها النباتية على حين أن هناك أراضي واسعة نادرة بحصبتها وهي لا تزال بوراً. بيد أن مصاعب كثيرة تحول دون الإفراط في الإكثار من الجنس الإنساني. وبعد فإن للطبيعة أسباباً منطقة ما زالت

نواميسها غير معروفة حتى معرفتها ولكن لما عمل لا يسع أحداً إنكاره على ضرر و
التناسل في عالم النبات كما في عالم الحيوان.

وقد ذكرت بعض الحوادث النادرة فيجب الآن أن أدخل في التعيين بأن أصول سلطة
الأب على نحو ما ذكر ما هي معروفة عند أرباب الأفكار الحديثة. كانت سلطة الأب
على أولاده مطلقة في القديم وجعلت الوصايا العشر بر الوالدين من أقدم واجبات
الأبناء فإذا قال الولد لأبيه أفٍ وخرج عن طاعته يعاقب بالموت. ومثل هذا القانون
كان نافذاً في أثينة وإن كان بشدة أقل. وكان لرب الأسرة في رومية الحق المطلق أن
يقنع ما ارتكب أبناؤه وأهله من الأغلاط ولم تكن صنة القربى منظور لها بأنها نتيجة
عقد بين الزوجين ولا يتيسر حلها ألهم إلا عند الجرمان والصقالية (السلافين) وما
كان الابن حراً بالخروج من أسرته بمحض إرادته بل من الضروري استحصال رضى
والده بمنحه إياه في صورة كأنه يحرره من رقه.

وغير نكير أن الطفل على جهته في كل شيء محتاج لتعليم والتهديب فيجب عليه
الطاعة لوالديه ويجب عليهما أن يحبا كثيراً ويحترماه بما بينهما من الصلات وبما
يعاملانه به من المعاملة الحسنة لتكون توطئة الطاعة مبنية على العطف والطبيعة. يجب أن
تقوى فيه الرغبة في التعليم والعادة على الافتكار والشعور بالعدل وطيب السريرة
تلك الصفات التي تضيق الخناق على أهوائه وتجعله عضواً نافعاً في حياته المستقبلية.
فإذا اعتاد ذهنه الاشتغال يقوى ويجود كما يقوى الشعور بالمسؤولية. يجدر أن تترك له
حرية وأن يستعاض عن إخضاعه لأوامر والديه بنصائح فيها العطف والحنان. فإذا
طلب إلى الولد وقد استكملت سنه أن يحتفظ كل الحفظ بما ينرم من الطاعة وهو على

كمال الاستحكام في قواه فيعد ذلك إجحافاً بحقوقه وإحراجاً لصدره. وعلى الوالد في تلك الحال أن لا يكون إلا بمنزلة صديق يؤخذ كلامه بالإجلال لا أن يكون بمنزلة معلم يسيطر على مستقبل ليس له منه ناقة ولا جمل.

كان التبييس سهل كثيراً في القديم فوضعت له القوانين اليوم قيوداً وشروطاً. وأخذت الصلات العائلية في الانحطاط عند الطبقات التي هي أكثر من غيرها انغماساً في الحضارة في أوروبا وأميركا فكان للحياة الخاصة في سالف الأزمان صفة ثابتة نتجت من النظام الاجتماعي الموضوع الذي فقد في المدن الكبرى لهذا العهد. وكان من ازدياد صلوات الأمم بعضها مع بعض وتمازج العناصر المختلفة تعديل كثير من العادات المتأصلة والآراء التي كانت تتخيل سابقاً فزاد الارتباط بين الأفراد وانحسرت الذين هم بعضه ودعت سهولة التنقل إلى حدوث تغييرات في الخيط فنشأ عن ذلك بحكم الطبع تأثيرات جديدة أثرت في الحركة العقلية فاتسع مداها وانصغت بصيغة الإنسانية. على أن موازنة الأخلاق القديمة قد سرت إليها أمور كثيرة ألقت فيها الاضطراب وزعزعت منها الأركان وستصلح بالضرورة. إذا لا يقوم مبدأ الأسرة على أساسه الطبيعي بدون شيء من التضامن. وكل اجتماع بشري عرض للنزوال يعد عقيباً ولا ثمرة فيه بتاتاً.

نبأ مصر

(وحالة الاجتماع فيها للنسبة الماضية)

نسيم بوادي النيل غير بنيل ... وظل بهذا الروض غير طليل
فلا الأرض تنك الأرض حصياً لأهلها ... ولا النيل في أرض البلاد بنيل

نفصنا يدينا وانزويها مدلة ... وأضيع ما في الناس حقاً ذليل
 لنا كل يوم ألف رأي وما لنا ... عنينا من الأفعال فرد ذليل
 نقد ألقاظ السياسة عمرنا ... ونذهل عند الحزم أيّ ذهول
 ويا بعد ما بين (الصليل) وهوله ... وإن قرباً لفظاً وبين (صهيل)
 فلاسفة فينا نقول فلم نزل ... نصول على الدنيا ببعض ما نقول
 وما من حديث بات غير مشقق ... ولا من جدال بات غير فصول
 أفي كل يوم كاتب يشرع القنا ... ليقلب جنب الأرض بعد قليل
 أفي كل يوم صارخ ذو حمية ... يضح بقال في البلاد وقيل
 أفي كل يوم شاعر ذو حفيظة ... يخط سطوراً من دماء قتيل
 أحسب ميزان السياسة في الوري ... كميزان مفعولاته وفعل
 وأنبتهم يستصر خون ليوقظوا ... تياماً بئيل في المطال طويل
 فيا بادخ اليم اضطربت ولم تزد ... على نزوات أعقب بحمول
 الآن والعرس والذي تمطرونه ... ملايين لم تشمر ببعض عقول
 صغاراً وجين خالغ في كبارهم ... وأصغرهم غالته لفظة غول ... كنا حال قصراً ناظر
 لطنول

ولا طول فينا غير نوع تطاول ... ولا فضل فينا غير بعض فضول
 بكل سبيل نزع السير للنعي ... ونرتد للنسفي بكل سبيل
 تآدوا لغايات المني بأدائها ... فبنا جل لا يغيه غير جليل
 ألا إنما الداء الغنيض عقولنا ... وما شجر ينسوي بغير أصول

وأهون بتفريح الأمور ولفها ... إذا لقيت يوماً لغير جهول
 تبين ما بين الرجال وكنهم ... عني زعمه بالأمر خير كفيل
 فيا عصبة الأحزاب ردوا حلومكم ... وجرؤا عني غير الثرى بذيول
 فقد سطعت في مصر منك عجاجة ... ولكنها لاحت بغير صليل
 عجاجة صيف قد أثارت قمامها ... حيول سباق لا ضراغم غيل
 وما أنتم في أمر شيء من الهوى ... فما بال واش بينكم وعدول
 وأحييتوها سنة جاهلية ... عداء أصيل فيكم ودخيل
 تحلوا بأمر العلم واستجمعوا له ... قواكم فإن العلم خير دليل
 ولا تخطوه بالنفاق تقية ... وجبناً فظهر الحق غير ذلول
 فما لكم إلا الذي تعملونه ... وإن تبدلوا منه قشر بدليل
 ألما ترأوا قاصرين فأمركم ... ضياع إذا لم يعتصم بوكيل
 تقوا عارها من سبة تتركوها ... لجيل وينقيها الزمان لجيل
 أرى فئة كالعانيات تدللاً ... تميل مع الأهواء كل ميل
 تحال الفتى منهم عني ظنسة النهى ... لألوان ثوبه سماء أصيل
 منول كما شاء الهوى واقتداؤه ... بمن حوله من خلة وخيل
 وما وجد الأعمال يوماً إنما ... ليستحسنوا فيه دلال منول
 وظن الفتى أن التمدن أثوي ... فتابع فيه كل ذات حيل
 تماجن في أشكالها من صبع ... إلى كل مجنؤ وكل صقيل
 إلى النقط حتى ما تكاد شفاهه ... تبين بنقط منه غير نحيل

دلال جميل بالجمال مهنا ... فآه عليه من دلال جميل
 أولئك هم شبائنا لو عرفتم ... وهم كل من في مصر غير قليل
 مظاهر نيل نافقوا في اصطناعها ... ألا قبحت من صنعة لنيل
 أحلنا على غيب القضاء همونا ... وأية سنوى في القضا خيل
 وما نحن أهل الحكم ندفع دفعهم ... فإن لم ينيونا فأى منيل
 هم عودونا الدل ثم تطولوا ... فستوا علينا بين كل قيل
 ومن عود الدل الرجال حلاله ال ... فخار إذا ما قابنوا بقبول
 فيا مصر أنت السيف صقلاً وجنوة ... ولكن بلا حد (ولو بقبول)
 ويا كف مصر ذلك السيف والوغى ... فإن تستطيعي بعد ذاك فصولي
 فجعلنا بما لا تضرون حذاره ... وأكثرنا من عالة ومعل
 فيا شؤمها من أزمة تركتكم ... وأولاكم بالفخر كل بحيل
 وكم أسرة تحسي المضاجع منهم ... تقنب طول النيل كل هزيل
 يعدد رقيق الخبر فيهم ولينة ... لدى كل منضم هناك ضئيل
 أخاف على أرض البلاد ونيلها ... ذهابنا رهناً لكل نزيل
 فتسسي على نيل البلاد وأرضها ... كأننا على ماء (وبعض وحول)
 جريتم سراعا للغنى تطبونه ... بكل طريق فاهناوا بوصول
 وإما أراد المقعدون سلامة ... فبنا لصعود بينهم ونزول
 تصيحون باحتل تستعبدونه ... مراغمة ما أنتم بعدول
 ألا فاطنبوا إثباتنا في بلادنا ... فإن صياع الملك بدء رحيل

ومن يطلب الأمر البعيد ويهمل ال ... قريب يضع أمره بعد حصول
 أنظما نفسي الآن والماء في يدي ... وأترك للأفكار بل غنيلي
 فلا تتوانوا إنما الوقت فرصة ... تمرُّ ومرُّ الوقت غير ثقیل

مصطفى صادق الرافعي

على رمل الاسكندرية

إيه أيتها الأمواج الخالدة كم شاهدنا من أمواج الإنسانية ومن بحورها الفانية.
 أمام عيونك الزرقاء وفي ظل ابتسامتك الفضية كم تبحر بحر ونضب وكم تبددت
 تحت أقدامك موجة هادرة شامخة من أمواج البشرية.
 على هذا الساحل الذهبي الجنيل قاتلت المنوك قديماً فتغنت بأخبار مواقعها أرباب
 الفنون ورددت صدى غزاتها ألسن الشعراء.
 بالقرب من صدى هديرك الهائل هاجت أمواجهم وهاجت فعادت إلى حيث لا تبلغ
 مدك ولا تبصر عيونك الرمل والصخور.
 عادت أمواج أنفسهم المضطربة إلى حيث لا تبع إلا تبعك الدافق من ميازيب ذهبية في
 بساطين من النور الأزلي الروحاني
 هناك تبعك أيتها الأمواج وهناك أيضاً تبع الإنسانية.
 أنت هجرت قديماً في صدر الإسكندر فجئت به إلى هنا ليبنى لك هذه المدينة الزاهرة.
 أنت جمعت أنطونيوس إليها ليطفي لوعة غرامه.
 أنت منحت القيصر قسطاً من عظمتك فخاض عبايتك طبعاً بمحك عظيم بل شغفاً
 بوجد وسيم.

وأراك الآن هاتجة في قلوب الصغار والأذلاء كنا هجت قديماً في قلوب الملوك
والأمراء.

أراك مضطربة مبتسمة معاً إذ تشاهدين على ساحلك هذه الأمواج المزوجة من بحر
الإنسانية.

هي تتسازج على الرمل في كنف الصخور تمازجت في بطن أمك.
هي أمواج من النفس نحن بعضها إلى بعض ويهيج بعضها على بعض ويحتفي زيد
الواحدة تحت زيد الأخرى ويدوب زجر الهاتجة تحت مد المدبرة.
الحب أيتها الأمواج يؤيدك.

والحب يحمل إليك هذه الأمواج القنقة الفانية.
ومهما عظم اضطرابها على سواحك الذهبية فراحتها أخيراً تحت ابتسامتك الفضية
الأزلية.

لا تعجبي من هياج هذا الإنسان واضطرابه فتنا هو سوى طوائف من الأسماك
والحيوانات البحرية تحتبط في بحر النفس لا يرى مدينتنا من المدن الكائنة تحت
أمواجك.

أيها البحر العائل أيها الرقيب الأزلي وفيها من الحيتان والدلافين ما يوري بحيتانك
ودلافيتك.

فيها يهدر بحر من هذه الإنسانية المتكالبية.

لكل موجة صوت لا يشبه أخاه.

لكل موجة شكل ومنهج وعمامة وابتسامة.

هذه الاسكندرية وفي بحرها تشاهدين الآن ما لم تشاهديه فيما مضى من الزمان.
أمامك الآن أمواج مزبدة من نهر التامس الهادئ. . وأمواج هادئة من نهر المسيسي
المتدفق وأمواج كرواسي الجبال من نهر الرون والرين والدانوب والسين. . وأمواج
عذبة لطيفة من بحر الأحمر وبحر الهند وبحر فارس.

هي الأمواج يتلاطم بعضها ببعض ويمتزج بعضها ببعض ويتنع بعضها ببعض ويقتل
بعضها بعضاً أو يعطف بعضها على بعض والكل يهلك نفسه في هذه الحركة الدائنة.
في هذا العراك الشديد والضجيج المديد.

يشيدون الصروح ويهدموها. ويؤسسون المباني ويبدونها. فيتلاشون أخيراً تحت
أقدامك. وأنت باسمة صاحكة تسخرين منهم وأمواج منك كالظلل تحمل إليهم نأ
الأبدية.

بحر الإنسانية يفيض ويزيد ويهيج ويهدأ ويتبخر ويتصب ويعكر ويرسب ويتلاشى
وأنت باقية إلى الأبد.

تشاهدين هذا الزمان كما شاهدت أباطيل الأزمنة الغابرة.

تسمعين ضجيج أبطال هذا الجيل في البورص كما سمعت ضجيج أبطال الأجيال
الماضية في ساحات القتال.

وتستقبين الشمس كل مساء كما تستقبلينها يوم لم يكن على سواحتك مدن ولا
عمران ولا نبت ولا حيوان.

لبنان

أمين الريحاني

نحن على منطاد

نحن من أرضنا على منطاد ... جائل في شواسع الأبعاد
 طائر في الفضاء عرضاً وطولاً ... بجناح من القوى غير باد
 أيها الأرض سرت سيرك مشي ... ذا لتاجين في زمان أحاد
 فتقنيت في ليل وليل ... ذا مضل وذاك للناس هاد
 في بلاد يكون سيرك تأوي ... يا علي أنه سرى في بلاد
 فيك دفع وفيك يا أرض جذب ... لك ذا سائق وذلك حاد
 فلنك دائر على الشمس طوراً ... في اقتراب وقارة في ابتعاد
 ليت شعري وما حصلت في الآ ... راء إلا على خلاف السداد
 لبقاء تقننا الأرض في تس ... يارها أم تقننا لنقاد
 نحن في عالم تقصف فيه ... عارض النانيات بالأعداد
 شأننا العجز فيه توجد ألى ... قدفتنا يد الخطوب الشداد
 ضاع جذر الحياة عنا فحننا ... أنها كالأصم في الأعداد
 شغلنا الدنيا بنهر ولعب ... فغفلنا والموت بالمرصاد
 ضلّ من رام راحة في حياة ... نحن منها في معرك وجلاد
 كننا قد أجدت في أم دفر ... فكر مستبصر بما نقاد
 قنت قولاً أفاد من قبل فيه ... فيلسوف القريض غير مفادي
 إذا تجحوا في اسعة الموت أضع ... اف خيار في ساعة الميلاد
 إنما هذه الحياة جروح ... أثخننا والموت مثل الضساد

كل أسير يهون إن أطلقت أر ... واحنا الموثقات بالأجساد
 لا تلتني إذا جزعت فإني ... ما منكك الخيار في إيجادي
 طال عتي على عدات الليالي ... مثني طال مطلقها بمرادي
 كدرت عيشي الحوادث حتى ... لا أرى الصفر غير وقت الرقاد
 صاح ما دلّ في الأمور على الأش ... كدلّ إلا تفحص الأضداد
 فاعتبر بالسفيه تمس حليماً ... وتعرف بالغبي طرق الرشاد
 والذئب الذي تعلم إتيا ... ن المعالي من حسنة الأوغاد
 أيها العرّ لا تغرك دنيا ... ك يكون مصيره لفساد
 خفّ من غاص في الغرور كما في ... لجة الماء خف ثقل الجناد
 يا حنيليّ والخليل المواسي ... منكنا من يقوم في إسعادي
 خاب قوم أتوا وغى العيش عزلاً ... من سلاحي تعاون واتحاد
 قد جفتنا الدنيا فهلاً اعتصمنا ... من جفاء الدنيا بجبل ووداد
 لو عقبتنا لما اختشى قط محسو ... دون وقع الأذاة من حساد
 فستاع الحياة أحقر من أن ... يستفز القلوب بالأحقاد
 أنا والله لا أريد بأن أو ... قع شراً ولو على من يعادي
 أن لي إن سمعت أنه محزو ... ن أنينا مرجعاً في فؤادي
 إن نفسي عن همها ذات شغل ... بمسوم العباد كل العباد
 لا أحب النسيم إلا إذا هـ ... بّ على كل حاضر أو باد
 أيها الناس إن ذا العصر عص ... ر العنم والجدّة في العني والجهاد

عصر حكم البخار والكهربائي ... ق والمكانات والمنطاد
 بيت فيه للعلوم المباني ... وأقيمت للبحث فيها النوادي
 فاض فيض العلوم بالرغم من ... ضربوا دوكهن بالأسداد
 إن للعلم من المتالك سيرا ... مثل سير الضياء في الأبعاد
 اطلع الغرب شمس فحبا الشر ... ق اقتباساً من نورها الوقاد
 إن للعلم دولة خضعت دو ... ن علاها عوالم والأضداد
 ما استفاد الفتي وإن ملك الأار ... ض بأعلى من علمه المستفاد
 لا تسابق في حلبة العز ذا العل ... م فمنا لنهجين شأو الجواد
 إن أموات أمة العلم أحياء ... ء حياة الأرواح والأجساد
 وكأين في الناس من ذي مخول ... صار بالعلم كعلة القصاد
 رب يوم وردت دجنة فيه ... مورداً خالياً عن الورد
 حيث ينصب في سكوت عتيق ... ماؤها لاثماً ضفاف الوادي
 وهبوب النسيم يكتب في الما ... ء سطوراً مهتزة في اطراد
 ينسحي بعضها ويظهر بعض ... فهي تنساب بين خاف وباد
 وتن المياه لي بحير ... كأنين السقيم للنعواد
 قنت في وجهها أردد طرقي ... ساكناً والضير مني ينادي
 واقفاً تحت مريحة ناح فيها ... طائراً فوق غصنها المياد
 منشداً في النواح شعراً غريزي ... أحريناً كأنه إنشادي
 جاوبته أفانها بأنين ... من حفيف الأوراق والأعواد

أيها الطائر المرجع فوق ال ... غصن هل أنت نائح أم شاد
 بين ماء جار ولحن شدي ... منك يا طائر استطار فؤادي
 يا مياهها جرت بدجلة تجتا ... ز مروراً بجاني بغداد
 إن نفسي إلى الحقيقة عطشى ... أفتشفين عني من صاد
 كنت تجوين والرصافة والكر ... خ خلاء من رائح أو غاد
 أيها الماء أين تجري ضياءاً= وحواليك قاحلات البوادي
 فنتى تظن النفوس فيحيا ... بك سقياً موات هذي البلاد
 لو زرنا بك البقاع حبوباً ... لحصدنا النصار يوم الحصاد
 أفيدري خليج فارس ماذا ... فيه منك يالغ بازدراد
 أنت والله عسجد ولجين ... لو أتينا الأمور باستعداد
 فاجر يا ماء! ن جريت رويداً ... بأناقة ومهنة وأتاد
 علنا نستفيق من رقدة الفق ... ر فنغني بفيضك المزداد
 سنكتك السنا ينابيع في الأر ... ض أمدتك أيما إمداد
 فتفجرت في السفوح عيوناً ... نبعت من مخازن الأطواد
 وإذا ما انتهيت في جريان ... عدت للبدء في متون الغوادي
 = هكذا دار دائر الكون من حيـث انتهى عاد راجعاً للبيادي

بغداد

معروف الرصافي

مطبوعات ومخطوطات

الحياة الاجتماعية وتقلبها

هذا كتاب أخرجته مؤلفه للناس باللغة الفرنسية في الشهر الماضي في نحو أربعين صفحة وقسمته إلى عشرة أجزاء ذكر في الأول الأسرة ومقر الأسرة وفي الثاني طوائف الناس وتاريخهم وحالة العالم الحاضرة وفي الثالث العواطف الدينية ومظاهرها وتأثير المعتقدات الدينية الاجتماعي وفي الرابع الأوضاع القانونية وتعديل تنظيم القانون وفي الخامس المصالح المادية واتساعها ومكانتها بين الأمم والحملات البحرية والاستعمارية ونتائجها وفي السادس الصنائع والفنون والهندسة والنقش والتصوير والموسيقى وفي السابع الآداب وانتشار القديم والحديث منها وفي الثامن نظرة في العلوم وما نتج من الأخطاء فيها على التوالي وفي التاسع طريقة التعليم على اختلاف العصور وفي العاشر نشوء الأفكار السياسية والمنازع الاجتماعية. هذه فصول الكتاب وكلها مفيد نافع توخى مؤلفه بعد التجارب الطويلة أن يجمعه معيلاً للقارئ يتناول تعينه لا أن ينقش عليه مسائل قد لا يفهمها إلا كبار العلماء. فجاء كتابه نافعاً للخاصة والعامة جامعاً العمليات إلى النظريات قال المؤلف في مقدمته:

كنت في قرطجنة على شاطئ البحر والظلام ملق سدوله على السماء فلا ترى فيها إلا ما ازدانت به من زينة الكواكب والسكون يحف بي وقد ملئ أسراراً وساد الآكام والسهل حيث كانت هذه المدينة الفينيقية في سالف العصور محاطة بأسوارها الثلاثة وفيها معابدها وقصورها وأرصفاتها الزاهية واليوم لا يرى فيها إلا بضعة حوائط مبعثرة يرد عهداً إلى العصر الروماني وأكوام من الأنقاض يحدق بها فلاح عربي بمحراثه

وقباب باهتة وأحواض نصفها مملوء وقبور مدنسة وقطع من عند ملقاة بين باقات نبات البرواق والفحم.

رأيت ثمة صورة لا تنسى فذكرت بتلك الخرائب المبعثرة ما طرأ من التبدل العظيم على الحياة الاجتماعية فكان منه التحلل في بعض الأصقاع وتحسين في أخرى وما يروح قابلاً للتحول بما فيه من النقص الظاهر لا تساعده وانسباط محيطه فأدى بي التأمل إلى أن أخذت أفكر في القوانين التي لا تبدل أحكامها في هذا الوجود ولم يروح أمرها مجهولاً في الأغلب.

وما تاريخ الإنسانية في الحقيقة لا سلسلة من الحوادث لو بحثنا فيها بحثاً منطقياً لرأينا بعضها متشعباً من بعض فإذا أوردت هذه الحوادث الغزيرة فلا ترى فيها إلا إتباعاً للذاكرة بدون أن يستير بها الفكر وإذا جمعت على ترتيب حسن بقطع النظر عن تفاصيلها العديدة فتكون مملوءة بالقوائد. إلا وأن الاشتغال في إتمام هذه الباكورة العامة التي تتضمن درس المجتمعات البشرية منذ ابتدائها وتتبعها في نشوئها التدريجي وتضعها موضع التطبيق والعمل بحيث تصف ما فيها من المنازع والمناحي لما يساعد على نشر هذه الأفكار الكثيرة ويدعو إلى التوفر على أبحاث أهم وأحدث.

خطر لي هذا الخاطر وأنا في خلوة وأمامي ماضي البشر الذي يوحى إلى القلب ما يوحى. فأهاب لي أن أشرع بمثل هذا العمل على حين لم أجهل صعوبته وذلك لأنه اقتضى أن أوضح فيه مجموع ما ظهر من بدائع عقول البشر في السياسة والعلوم والفنون والآداب وهو متوقف على جميع أنواع البحث على صورة تكاد تكون مكثرة المعارف بما تجمع وتضم. وفي هذا التأليف من الفائدة ولو لم يستوف حقه أنه

يسهل تقويم كثير من المشاكل الاجتماعية التي لا تزال موضوع البحث وأن يرسم قانوناً صريحاً لجنوع الأعمال العقنمية أمام الناظر لأحداث الاضطرابات الدنيوية الحديثة والإخلاص رائد القول في الاستنتاج بحرية فكر فلا تورد إلا بعد تحصيلها كل التحصيل. هذه الأمور حملتني على أن أقم ما قام في ذهني وأن أضم نتائجي في الصفحات التالية أهم. وقد عربنا منه في غير هذا المكان مبحث الأسرة وسنقل للقراء أهم مباحثه.

المزهر

للسيوطي كتب لا تحصى أفردتها بمؤلف خاص ومنها الجيد ككتاب المزهر وكتاب الإتقان في علوم القرآن. أجاد في المزهر كل الإجادة فأفاض في متعلقات علم اللغة وكتب فيه فصولاً بديعة انتقاها من الكتب المعتمدة فجاء الكتاب مفرداً في باب وقل من كتب فيه من المتأخرين مع أنه من أجل الفنون التي أعني بها المتقدمون. وقد تعرض فيه للكثير من أسرار اللغة العربية وهو من أهم ما يعنى به المستشرقون في هذا العصر. وهنا كنته ينبغي أن يقال وذلك أن كثيراً من المؤرخين ومنهم أناس من مؤرخي عصر السيوطي قد بحسوه بعض حقد فرعنوا أنه يقال غير نقاد يجمع بين الغث والسمين وهذا عني إطلاقاً مما يستقد عليهم لأنه قد أجاد الانتقاء في مثل هذا الكتاب عني أنه قد أظهر أعظم اجتهاد في أصول اللغة العربية وذلك في الاقتراح في أصول النحو.

(ناظر)

طبع هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد الرافعي عني أجمل شكل وحرف بعد أن طبعت الطبعة الأولى في المطبعة الأميرية منذ زمن وقد اختار له ورقاً صقيلاً رقيقاً فوقع الجزآن

منه في قدر سبعمائة صفحة متوسطة القطع خفيفة الحمل ويباع في المكتبة الأزهرية بالقاهرة بعشرة قروش مجداً وهو من الأمهات التي لا يسع أحداً من المشتغلين بالعلم أن يزهد فيها.

الأضداد

بلغت عناية العلماء باللغة أن أفردوا كل فرع من فروعها بكتاب وهو غاية ما يتصور في العناية ومن ذلك الأضداد وهي الكلمات التي تدل على الشيء وعنى ضده كالخون فإنهم قالوا أنه يطلق على الأبيض والأسود. وقد أنكر ذلك ابن دستوريه والقب كتاباً في إنكار بناءه على أن ذلك مناف لحكمة الوضع وخالفه الأكثر في ذلك وألفوا فيه ومنهم قطرب والتوزي وأبو بكر ابن الأنباري وأبو البركات ابن الأنباري وابن الدهان والصاغاني فإنهم أثبتوا ذلك وألفوا فيه وكتاب الأضداد لابن الأنباري المتوفى سنة 318 هـ من أنفس ما ألف في هذا النوع وقد تعرض في نوله لسبب وقوع مثل هذا في اللغة ودفع اعتراض المعترضين وأفاض في هذا الموضوع إفادة واسعة وكتابه من أهم ما كتب

(ناظر)

طبع هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد الرفاعي صاحب المكتبة الأزهرية وكان طبع في أوروبا من قبل وقد عني الشيخ أحمد الشنقيطي بصطته وشككه وتصحيحه فجاء في 380 صفحة متوسطة جيد الطبع وهو يطلب من طابعه بمصر باثني عشر قرشاً فحضر عني اقتنائه.

رسائل الفارابي

هي ثمان رسائل منسوبة لنحليم أبي نصر الفارابي المشهور بالمعلم الثاني الأولى في الجمع بين رأيي إفلاطون وتلميذه أرسطاطاليس فيما يظن أنهما اختلفا فيه وذلك في مسألة حدوث العالم وقدمه وفي إثبات المبدع الأول وفي وجود الأسباب منه وفي أمر النفس والعقل وفي الخازاة على الأفعال خيرها وشرها وفي كثير من الأمور المدنية والحنفية والمنطقية والرسالة الثانية في الإبانة من غرض أرسطاطاليس في كتابه المعروف بما بعد الطبيعة أشار فيه إلى الغرض الذي وضع فيه هذا الكتاب النبيل المقصد. والرسالة الثالثة في معاني العقل قال في أولها اسم العقل يقال على أشياء كثيرة الأولى الشيء الذي يقول به الجمهور في الإنسان أنه عاقل الثاني العقل الذي يردده المتكلمون على ألسنتهم فيقول هذا لما يوجد العقل أو ينفيه العقل الثالث العقل الذي يذكره أرسطاطاليس في كتاب البرهان الرابع العقل الذي يذكره في المقالة السادسة من كتاب الأخلاق الخامس العقل الذي يذكره في كتاب النفس السادس العقل الذي يذكره في كتابه ما بعد الطبيعة ثم أفاض في بيان كل واحد منها ناهيك ببيان مثل أبي نصر. والرسالة الرابعة فيما ينبغي أن يقدم قبل الفلسفة ذكر فيها الأشياء التي يحتاج إلى تعلمها ومعرفتها قبل تعلم الفلسفة قال فيه: أصحاب أفلاطون يرون أنه عم الهندسة ويستشهدون على ذلك بقول أفلاطون (لأنه كتب على باب هيكله من لم يكن مهندساً فلا يدخل عني) وذلك أن البراهين المستعجلة في الهندسة أصح البراهين كلها وأما آل أثرفسطس فيرون أن يبدأ بعلم إصلاح الأخلاق وذلك من لم يصلح أخلاق نفسه لم يمكنه أن يتعلم علماً صحيحاً والشاهد على ذلك أفلاطون في قوله من لم يكن نقياً ذكياً فلا يدر من نقي ذكي وبقراط حيث يقول أن الأبدان التي ليست

بنقية كننا غدوقها زدقنا شراً وأما بواتيس الذي هو من أهل صيدا فيرى أن يتبدأ بعلم
الطبائع لأنها أعرف وأقرب عنده وألف وأما أنرونيقوس تلميذه فيرى أن يتبدأ بعلم
المنطق إذ كان الآلة التي تمتحن الحق من الباطل في جميع الأشياء. قال أبو نصر وليس
ينبغي أن يرذل واحد من هذه الآراء ومنها الحال التي يجب أن يكون عليها الرجل
الذي يؤخذ عنه عنم أرسطو قال فيه: هي أن يكون في نفسه ما قد تقدم وأصلح
الأخلاق من نفسه الشهوانية كيما تكون شهوته للحق فقط الذذة وأصلح مع ذلك
قوته الناطقة كيما تكون إرادته صحيحة. والرسالة الخامسة في مسائل مهمة في علم
الحكمة عبر عنها بأوجز عبارة قال في آخرها عناية الله تعالى محيطه بجميع الأشياء
ومتصلة بكل أحد وكل كائن فبقضائه وقدره. والرسالة السادسة في مسائل يصح وما لا
يصح من أحكام النجوم ومما قال فيها: التجارب إنما تنفع في الأمور الممكنة على
الأكثر فأما الممكنة في الندرة والممكنة على التساوي فإنه لا منفعة للتجربة فيها
وكذلك الروية وأحد التأهب والاستعداد إنما ينفع بها في الممكن على الأكثر لا غيره
وأما الضروريات والمستعانت فظاهر من أمرهما أن الروية والاستعداد والتأهب
والتجربة لا تستعمل فيهما وكل من قصد لذلك فهو غير صحيح العقل وأما الحزم
فقد تنفع به في الأمور الممكنة في الندرة والتي على التساوي. والسابعة في مسائل
متفرقة سئل عنها الحكيم الثاني ومنها أي أفضل الحفظ أم الفهم فقال: الفهم أفضل
من الحفظ وذلك لأن الحفظ فعلة إنما يكون في الألفاظ أكثر وذلك في الجزئيات
والأشخاص وهذه أمور لا تكاد تنهاى ولا هي تحدي وتغني لا بأشخاصها ولا
بأنواعها والساعي فينا لا يتناهى كباطل السعي والفهم فعلة في المعاني والكنيات

والقوانين وهذه أمور محدودة متناهية وواحدة للجميع والذي يسعى في هذه الأمور لا يخلو من جدوى ثم قال: فإذا كان معوله على الأصول والكليات وعرض له أمر من الأمور أمكنه أن يرجع بفهمه إلى الأصول فيقيس هذا بهذا وقد تبين أن الفهم أفضل من الحفظ. والرسالة الثامنة في فصوص الحكم وهو كتاب من كتبه المهمة شرحه السيد محمد بدر الدين النعماني ومنه: إذا عرفت أولاً الحق عرفت الحق وعرفت ما ليس بحق وإن عرفت الباطل أولاً ولم تعرف أحق عنى ما هو حقه فانظر إلى الحق فإنك لا تحب الأفئدة بل توحيد بوجهك إلى وجه من لا يبقى إلا وجهه.

هذه هي الرسائل كتبها ترى وللفارابي كتب كثيرة مهمة من أهمها بالنسبة إلينا كتاب إحصاء العلوم وترتيبها وبلغنا أنه طبع في أوروبا وشرح كتاب الخطابة لأرسطاطاليس وكتاب الألفاظ والحروف وكلام في المنطق والفقه المذاهب جمع من أقاويل النبي صلى الله عليه وآله عليه وسلم وكلام له في الشعر والقوافي وكتاب في اللغات وكتاب شرائط اليقين ورسالة في ماهية النفس. وقد قدم له طابع محمد أمين أفندي الخانجي مقدمة ثناها بترجمة الحكيم أبي نصر وترجمة أفلاطون وأرسطاطاليس وهو يطلب من مكتبته بالقاهرة بقرشين ونصف وعدد صفحاته 176 صفحة صغيرة.

أما السيد المرتضى

من أشهر كتب الأماشي أماشي السيد المرتضى أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة 436 وهو في التفسير والحديث والأدب طبع في بلاد فارس فأعاد طبعه أحمد أفندي ناجي الجبالي ومحمد أمين أفندي الخانجي وأخوه في مصر في أربعة أجزاء من قطع الوسط وبلغت صفحاته نحو سبعمائة صفحة. وقد سبق لنا أن وصفنا

هذا الكتاب بيان أطول عند صدور الجزء الأول منه وقد كانت قيمته بالاشتراك عشرين قرشاً وهي الآن بعد تمام طبعه بخمسة وعشرين يطلب من مكتبة الخانجي بالخنوجي.

الإيمان

كل ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة 738 في الشريعة والفقه والرد على المخالفين هو آية في حسن أسلوبه وغنائه وكتاب الإيمان هذا من جملتها طبع في الهند لسنة الأولى وأعاد طبعه هذه الأونة أحمد أفندي ناجي الجمالي ومحمد أمين أفندي الخانجي وأخوه بمصر وهو يباع عندهم بستة قروش وعدد صفحاته 190 صفحة من القطع الكبير.

منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان

عني محمد أفندي الخانجي بطبع معجم البلدان لياقوت الحموي الذي كان طبع في أوروبا وأرخص ثمنه فأقبل على ابتياعه المغرمون بآثار السلف وقد جمع مجلدين جاءا في نحو 750 صفحة ما فأت المؤلف من ذكر الممالك الأوروبية والأميركية لأن تقاسيمها حدثت بعد زمنه كما اكتشفت أميركا بعده بسنين طويلة مستنداً في ذلك من كتب المتقدمين على كتاب جزيرة العرب للنهيداني وكتاب معجم ما استعجم للبكري وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي وكتاب الأشراف للنسعودي وكتاب البلدان لابن الفقيه وغيرها من الكتب القديمة كما اعتمد في الجمع على زهاء ثلاثين كتاباً من كتب الحديث في الجغرافية والتاريخ ولم يتعرض للذكر القرى والحوال والمضارب والجيال لأن المؤلف الأصلي بالغ في البحث عنه وإنما عمد إلى ما للناس فيه

فائدة من حادثة تاريخية أو أثر جميل أو شيء غريب من أحوال الصناعات والتجارات
والمتنزهات وغير ذلك. وكنا نود لو صرف العناية أكثر من ذلك في تمحيص المنقول
فإن في أكثر المؤلفات الحديثة في العربية في هذا الشأن من الأغلاط ما يكاد يرفع الثقة
إلا قليلاً. وعلى كل فنشكر لأمين أفندي توفقه على إحياء الكتب النافعة للخاصة
والعامة ونرجو أن يكثر في طابعينا وكتبيتنا من ينظرون إلى منفعة المطالعين نظرهم إلى
منفعتهم الخاصة ليستفيدوا بذلك ويفيدوا. ويطلب معجم البلدان وزيده من الطابعين
بمئة وعشرين قرشاً بدون تجليد.

الركوسية

عرف الأب أنستاس الكرمني في بغداد بسعة الفضل وبعد الغور في المباحث النغوية
والتاريخية بما نشره حتى الآن في الجلات العربية والإفرنجية. وأمامنا الآن من قبله هذه
النسبة التاريخية بالإفرنسية نشرت في مجلة الأنثروبوس (الإنسان) الصادرة في النمسا في
الركوسية وهم فئة قال بعض علماء العرب أنهم طائفة بين النصرانية والصابئة وقال
آخرون والحق معهم وعينه الأب أنستاس أنهم كانوا طائفة نصرانية فقط بدون أن
يعرفوا ما هي معتقداتهم. ومن رأي المؤلف أن الركوسيين ليسوا إلا كروسيين قلب
اسمهم من كيروس بطريك الإسكندرية الذي أعين سنة 633 للمسيح عقيدة وحدة
الإرادة في السيد المسيح عليه السلام وإذا صح رأيه في هذه الطائفة وهو ما نسند له
فإننا نرى استنتاجه بأن عدي بن حاتم الطائي هو من أبناء هذه الطائفة وهو ما نسند
له فإننا نرى استنتاجه بأن عدي بن حاتم الطائي هو من أبناء هذه النحلة كما استشهد
ببعض الأحاديث في ذلك مردود لما أن الحديث المستشهد به غير معروف. وكيف

يمكننا أن نقول أن عدياً كان كروسياً أو ركوسياً قبل وفاة النبي (عليه السلام) أي قبل سنة 632 وهي قبل إعلان الخميني الاسكندري لهذا المذهب بسنة. وكذلك الحال في الأخطل فليس لدينا ما يثبت أنه كان من أهل هذه الطائفة بمجرد أنه كان ينسب لياسر عدي.

مخطوطات إسبانية

هي رسالة بالفرنسية كتبها المسيو لومين بوقا أحد علماء المشرقيات الذي عرف القراء بعض فضله بما نشرناه معرباً من بعض أبحاثه وقد امتاز بالشرقية منها عامة والإسلامية خاصة.

تكنم في هذه الدراسة على بعض كتب عربية كان أهداها النورد كينغسبورغ الإيرلندي للجمعية الآسيوية سنة 1824 أي بعد تأسيسها بسنتين في جملة ما أهدانا من الكتب الإسبانية والعربية والفارسية والتركية والهندية واليابانية. وقدم المؤلف مقدمة في ذكر المتبرع بتلك الكتب فقال أنه طبع كتاباً ضخماً في العاديات في المكسيك لم يتنه ألفق عليه لا أقل من اثنين وثلاثين ألف جنيه فكان فيه إفلاس وموته سجيناً لعجزه عن قضاء دينه وأثبت فيه أن التمدن المكسيكي انتشر بفضل أناس من مستعمري الإسرائيليين. وأفاض الناشر في وصف تلك المخطوطات العربية التي لها علاقة بإسبانيا وأكثرها مطبوع في أوروبا ونقل منها شذرات بالعربية وقد نشرتها مجلة الإسبانية وأخرجت منها نسخاً على

حدة فجاءت ناطقة بفضل مؤلفها وتحقيقه فيما يخص عبايد من الأبحاث.

تقرير الخميني السنشوي

انتهى إلينا تقرير هذه الدار العلمية في واشنطن وهي التي أسست سنة 1846 بـ 515169 دولاراً أوصى بها أحد أهل الخير من الأمير كان المدعو سميثون لتنفق في مشروع علمي يكون منه زيادة انتشار العلوم بين الناس ومساعدة رجال العلم على البحث ونشر مباحثهم في مجلدات وإرسالها إلى كل مكتبة مهتمة في العالم والعلوم التي يجيز هذا اجمع عليها في الأكثر هي الحيوان والنبات والجيولوجيا وعلم الآثار والفلك وقد وقفت عليه أموال أخرى فجاوز رأس ماله الآن زهاء مائتي ألف جنيه. ونسبت الجمعية لوضع أساسها الأول. وأعضاء هذه الجمعية المؤسسون رئيس الولايات المتحدة ونائب وقاضي القضاة ورؤساء الدوائر التنفيذية وقد وقع هذا التقرير في 576 صفحة متوسطة مطبوعاً أجود طبع وفيه خلاصة أعمال الجمعية ونفقاتها ومقالات العلماء وأبحاثهم كما أن فيه رسوماً كثيرة ومصورات جميلة جدير بأن تزدان به المكاتب ليكون من جملة العبر للشرق تنعي عليه توانيد عن النحاق بالغرب في العلم والعمل.

سير العلم

التربية

عنيت لجنة التعليم الابتدائي في مدينة لانكاستر بإنجلترا بالبحث في أحوال الأولاد الذي يتجذحون في إلقاء دروسهم فثبت لمن عهدت إليه النظر في ذلك أن الأطفال يستمتعون ولا سبيل إلى نزع هذه العادة منهم إلا بالتدريب ورياضة الصوت وتعويده على عدم التردد في الكلام فجميع لذلك صفراً مؤلفاً من أربعين من البنات والبنين وأخذ يعلمهم على أساليبه في تقوية التنفس وتحسين التلقظ وبعد عناية ستة أسابيع

طلق الأولاد يقرؤون بصوت جهوري ساعات بدون تلغيم ثم زودهم الأستاذ بنصائح يجرون عليها في بيوتهم بمراقبة أهلهم. وهذه الطريقة تستدعي عناية فائقة من المعلم والمتعلم وكثيراً من الثبات ولا بد من التوفر على ترويض الصوت على هذا النحو حتى تزول التنسية كل الزوال وقد ارتأت اللجنة المشار إليها أن تنشأ فرق خاصة في كل مدرسة لهذه الغاية كما تؤسس فرق استعدادية في جميع مدارس المعلمين.

حواس النبات

قال علماء النبات منذ نحو خمسين سنة أن للنبات حياة كحياة الحيوان وقام اليوم أحدهم في هولاندة ليثبت أن للنبات كما للحيوان حواس وإن خفيت عن الأنظار فلها حاسة الذوق وحاسة السمع وحاسة اللمس. فالنبات على ما يقول بحسب الفصيلة التي ينسب إليها يتغذى بمواد يؤثرها على غيرها لأنه يرى فيها لذته ويستطيعها. وللنبات حاسة الذوق والدليل على ذلك الطحلب فإن نموه معروف بتزاوج الذكر بالأنثى وهكذا أيد مدعاه في قوله أن للنبات ذوقاً وسمعاً ولمساً.

الانحطاط البشري

نشر الدكتور إميل كنج أحد علماء الفسيولوجيا في برلين كراسة ليس فيها علامة خير على مستقبل البشر فقال إن الإنسان قد أهدت قواه وتركيبه الفسيولوجي فأصبح عرضة للأمراض حتى أنك لترى هذا الانحطاط بادية على كثير من الناس وإذا كانت هذه الحال تنتقل من أجيال إلى أخرى فقد نشأت عنها تغير عام في النوع الإنساني يؤدي ذلك تعدد الإصابات بالسرطان الذي نسيبه في الأكثر حياة الإنسان على هذا العهد الحديث وزاد بأن أمراض القنب قد كثرت وإن معظمها ناشيء عن ضغط الدم

عنى الأوعية الدموية الناتج عن الإفراط في العمل والجهاد والإسراع والتعب على اختلاف ضروبه. وأثبت بأن معدة الإنسان تسوء حالها من حين إلى آخر وأن سوس الأسنان وسقوطها قبل الأوان مما يزيد من ضعف المعد زيادة محزنة. وزاد بأن الناس إذا ظلوا يعيشون كما يعيشون وسط هذا التمدن الموهوم فسيجيء يوم ليس بعيد كما يظن الظانون فيكثر فيه الانتحار كل يوم بسبب ما ينقاه المنتحرون من الأوصاب والأوجاع التي لا تطاق. وقالت الخيلة التي عربنا عنها المقال: لا شك أن رأي العالم الألماني لا يخلو من مبالغة وغرابة ولكن فيه شيئاً من الحق أيضاً وذلك لأن حياة البشر في تناقص وتشوه ما عدا أحوال استثنائية فبعد أن أدرك المرء أن خير ما له صحة يتسع بها تراه مع هذا يسرف فيها أي إسراف كولد طائش ورث من أهله مالا فتوفر على إنفاقه بكل ما يديه. وقد جرت عادة الصينيين أن يضعوا جوائز سموها جوائز الفضيلة يمنحونها لمن يحس الخلاص من الأمراض فهلا اقتدت أوروبا بهم في هذا السبيل؟.

البيوت الغريبة

اختراع شيخ الكهرباء في هذا العصر المستر أديسون الأميركي قوالب تكلف ثمانية آلاف جنيه وتبنى بها مساكن ذات ثلاث طبقات لا يكلف واحدها أكثر من مائتي جنيه ويتم في أربع وعشرين ساعة في أرض رملية يستعمل ما يستخرج من رملها في بناء حوائط الدار وأسسها كالسمنت وبهذا الاختراع قد خدم الإنسانية أجل خدمة خصوصاً وهو يقول أنه لا يريد أن يربح من اختراعه بل يجعله وقفاً على نفع البشر فبارك الله به وباختراعه وإنسانيته.

حاصلات البن

بلاد البرازيل أعظم الممالك إخراجاً للقهوة في الأرض والبن المعروف بالسانتوس مشهور في جميع الأسواق التجارية في العالم. وسانتوس مرفأً تجاري من مرفأئ تلك البلاد تحيء إليها القهوة من أطراف الجمهورية البرازيلية ومنها تصدر إلى أقطار المعنور فتنسب القهوة إليها. وقد قدر محصول القهوة في العالم سنة 1901 إلى 1902 بنحو تسعة عشر مليون كيس وبـ 17685000 كيس من سنة 1902 إلى 1903 وبـ 15730000 كيس من سنة 1903 إلى 1904 وبـ 14900000 كيس من سنة 1904 إلى 1905 وكان حظ البرازيل من هذا الحصول أكثر من حظ الأمم جمعاء فأصدرت سنة 1902 أربعة عشر مليوناً ونصف مليون من الأكياس التي يبلغ واحدتها مئتين كيلو ومئة 1903 12380000 كيس وسنة 1904، 10300000 كيس وسنة 1905، 9640000 كيس.

البحرية الألمانية

من القاعدة التي اتخذتها إنكلترا في استعمارها أن تكون بحريتها موازية لبحرية دولتين عظيمتين من دول أوروبا إلا أن ألمانيا قد كادت تحل لها تلك القاعدة فقد قررت أن تبنى سنة 1908 ثلاث دراعات كبرى وفي كل من سنة 1909 و 1910 ثلاثاً مثلها ومدرعتين سنة 1911 ومن سنة 1912 إلى 1917 كل سنة دارعة عظمى وطراداً عظيماً فيكون مجموع ما ستبنيه في تسع سنين 17 دارعة و 6 طرادات عظمى و 29 طراداً صغيراً وقد بلغت ميزانيتها البرية والبحرية زهاء مليار مارك أي ما يربو على 1200 مليون فرنك فزادت 122 مليون مارك عن السنة الماضية ولا تزال الزيادة

تريد سنة عن سنة وألمانيا تريد أن يكون لها المقام الأول بحريتها كنا لها المقام الأول
ببريتها وهناك مؤتمر السلام في مدينة الهاي ينادي أعضاؤه بترغ السلاح والاجتماعيون
ينادون بالسلم والسياسيون ولا يرتاحون إلا للحرب.

تجارة كريت

في إحصاء أخيراً أن واردات هذه الجزيرة المعروفة عند كتاب العرب بجزيرة أقریطش
قد بلغت في السنة الماضية 15185073 فرنكاً وصادراتها 11224449 فرنكاً
وأهم ما يورد إليها الدقيق والأنسجة وأهم ما يصدر منها زيت الزيتون ثم الخروب
والزبيب والصابون. قالت مجلة الاستعمار أن تجارة هذه الجزيرة وزراعتها وعدد
سكانها ليست متناسبة مع مساحتها وخصب أرضها وجودة مناخها وموقعها الجغرافي فإن
مساحتها تبلغ نحواً من عشرة آلاف كيلومتر مربع وليس فيها من السكان أكثر من
ثلاثمائة ألف نسمة.

لغة الجعطي

كتب المسير لوسين بوفّا في مجلة العالم الإسلامي بحثاً في هذه اللغة قال فيه: إن معنى
جعطي في الأصل الخشم الشجاع وهذا الاسم إذا أطلق على إنسان عند الترك في
آسيا الوسطى يراد به مدحد ولذلك دعي جنكيز خان بجعطي وسميت هذه اللغة باسم
المنكة العظمية التي شاعت فيها وقد قسمها يرسين منذ ستين سنة في كتابه البحث
عن اللهجات التركية إلى ثلاث فصائل الأولى الجعطانية الشرقية أو التركستانية وهي
عبارة عن لغة الويكور والكومان والجعطاني والأوزبك والتركماني والتركستاني ولغة
قازان المكتوبة والفصيحة الثانية هي التتارية أو المشالية (كيشاك) وهي عبارة عن لغة

القرغيز والباشكير والنوجاي والكوموك والكاراتشاي والشيرياك والبيري والفصينة الثالثة التركية أو الغربية وهي عبارة عن اللهجات الداغستانية والأزيرية المنتشرة في بلاد القرم والأناضول والروم إلني. وقسمتها أرمنيوس فبيري المستشرق اجري بعد عشرين سنة من ذلك التاريخ إلى ثلاث فصائل رئيسية وهي الصيني التاتاري الترك الكشغري والجفطاي الصرف أو الأوزبكي والتركماني يضاف إليها في الدرجة الثانية لغة القبشان والقرغيز والقره قبايق كما يضاف إليها لغتان قريبتان من التركية كل القرب وهما اللغة الياقوتية والشوفاشية.

قال وقد اعتبرت لهجة الويكور أقدم ضرور اللهجات التركية واكتشف بعضهم مخطوطات نادرة في أورخون من بلاد المغول منذ نحو عشرين عاماً كتبت بلغة تركية أقدم من جميع تلك اللهجات خالية من الألفاظ العربية التي طرأت على اللهجات التركية عقيب أن دان أهلها بالإسلام. ومن الغريب أنها أقرب إلى التركية العثمانية من لغة الويكور واللهجات التركمانية ويقال على الجسنة أن لهجات سكان الشرق من الأتراك تمتاز عن لهجات سكان الغرب بما فيها من الألفاظ العويصة المهجورة ولها ألفاظ خاصة بها استعاض عنها الترك العثمانيون بالألفاظ العربية وفارسية أو أفرنجية (افرنسية وإيطالية وإنكليزية ويونانية وصقلية وغيرها) ولفظ سكان الشرق شديد حلقي وبعض اللهجات كلغة القرم وأذربيجان مثلاً هي رابطة بين اللهجات.

ثم وصف اللغة البخارية واللغة الخوقندية واللغة الأوزبكية الشائعة في خيوة وما تمتاز به كل منهن وقال أن الأحوال السياسية التي جرت في آسيا الوسطى في القرون الأخيرة كان من نتائجها التأثير في كل لهجة من تلك اللهجات فلم تحفظ كماها كما

كانت. أما الجغتاي اليوم فهو اللغة الأوزبكية يتكلم بها ثلاث إمارات تحكم عليها الآن روسيا وهي خوقند وبخارة وخبوة ما عدا من ترح من يتكلمون بلغتهم إلى الأفغان. ولكن ساع تحديد البلاد التي يتكلم فيها بتلك النهضة فإن عدد من يتكلمون بها كثيرون وقد قدر فسيري عدد من يتكلمون بالأوزبكية بحوالي نسبة منهم مليون في بخارى وحواليها وسبع مائة ألف في خبوة ومائة ألف تحت حكم الأفغان. وقدره آخرون بثلاثة ملايين وثلاث مائة ألف ولكن بدون أن يذكر فيه العناصر واللغات.

وقد وصف الأستاذ فسيري أخلاق الأوزبكيين وعاداتهم فقال أن سكان المدن منهم ما يرحوا إذا نظرت فيهم ترى عليهم آثار المدنية الرشدانية ومن ذلك أنهم ما زالوا محافظين كل اخلافة على عيد النوروز وهو أول يوم في السنة عند الفرس الموافق للاعتدال الربيعي وما يرح أوزبك بخارى كمنجوس الفرس في يزد وكرمان يرقصون حول نار يوقدونها من القش ويحب على العروس عندهم أن توقد ناراً لطرود الأرواح الشريرة عندما تدخل للنرة الأولى إلى بيت زوجها ولا يسوع لها أن تستدير تلك النار. ويتوقى أهل البادية منهم أن ييصبوا في النار أو يلقوا في قاذورات ويعززون لنشس كما يعززون للنار أن فيها خاصية شفاء الأمراض كما يعتقدون معتقدات قدماء الإيرانيين في الرواح والجن. وذكر من عاداتهم في ماكنهم ومشارهم وقال أن التدين يغلب عليهم كثيراً بدون تعصب ولا يكادون يعرفون الرياء وهم يقدسون الأولياء ولكن أقل من خبوة وبخارى وخوقند وقلنا يحجون وهم أشبه بأتراك الأناضول منهم بأتراك بخارى.

ثم قال أن الترك العثمانيين كانوا يحتقرون قديماً المتكسبين بلغة الجفطاي أو الأوزبك أي التركية الأصلية القديمة ويصفونها بالغنظة ويسنون لغتهم بالجفاء على أن تجافيتهم عن أصل لغتهم لم يزدتهم إلا أهبال الألفاظ الدخيلة عليهم حتى صارت اللغة التركية العثمانية مزيجاً من لغات أمم شرقية وغربية ولو احتفظوا بأصول لغتهم لكان لهم من ألفاظها مادة يمكنهم أن يعبروا بها عن أفكارهم ومع هذا انتهوا في العهد الأخير وأخذ بعض علمائهم يبحثون في الرجوع بها إلى أصولها ونشروا نصوصاً قديمة من اللغة الجفطانية كما ينشر علماء المشرقيات آثار الشرق القديمة. ثم وصف مملكة الخوجة في تلك البلاد وما تعاقب عليها من الملوك وكيف سقطت الآن في يد الروس وقال أنه لا يرجي لأهلها بعد الآن نفوذ ديني ولا سياسي.

نظر الوقادين

قدم أحدهم إلى جمعية أمراض العيون في باريس رسالة قال فيها أن كثيراً من الوقادين في الأتومبيل والأومنيوس مصابون بأمراض في عيونهم فينشأ منهم لضعف أبصارهم ضرر على الراحة العامة وخطر على حياة الركاب والمارة ومن العجب أن يطلب من الميكانيكي أن يكون حاد النظر وتفحص عيناه فحصاً طبياً دقيقاً ولا يطلب مثل ذلك من الوقاد والسواق وأبت أن 8 في المئة من الوقادين ضعاف البصر. وصادف أن رأى وقادين كانت مقننهم (قرنيتههم) كثيفة بحيث لا يبصرون وبعضهم مصابون بتغيش النظر وبنع الحسر أي قصر النظر ببعضهم أنهم إذا رأوا في رابعة النهار قطع غم ظنوه غباراً وإن وقع نظرهم على جبل اتخذوه سحابة ومنهم من لا يبصرون إلا بعين واحدة فإذا أصيبت الصحيحة بعارض يصبحون كالعميان لا محالة. وفي رأيي أن

تفحص عيون الوقاد والسواق قبل أن يناط بهم العمل فلتجعل هذه الرسالة موضع التنفيذ لأن الحوادث التي نشأت من ضعف الأبصار من هذا القبيل طالما جلبت المضار والأخطار.

تلفون جديد

اخترع الأخوان لوريمجة اللذان لهما في تاريخ التلفون يد طويلة آلة تخاطب بها الإنسان من يريد من تلقاء نفسه بدون أن يخاطب مركز إدارة التلفون أولاً لتفتح له طريق من يحب مخاطبتهم. وقد جعلت الآلة بحيث لا يحدث منها لبس في التخاطب ولا انقطاع ولا يفهم أحد ما يدور بين المتخاطبين كما هو الحال الآن وذلك على طريقة تسهيل على المتخاطبين وتوفير م العامين وتكون سرعة التخاطب بهذا التلفون في النيل أكثر من سرعتها في النهار وقد جرب اختراعهما في كندا فظهرت نتائجها الحسنة.

طباعة العنبيان

كان العنبيان في أكثر مدارس الغرب يتعلمون القراءة في كتب جعلت لهم خاصة بحروف ناتئة عرفت بحروف برايل أما الآن فقد اخترع أحدهم اختراعاً جديداً بحيث يمكن للعنبيان أن يقرأوا الخطوط التي تطبع بحروف كالعادة إلا أن نصف الحرف الأول يجعل بطبع ناتئ ونصفه الآخر بطبع عادي غير ناتئ وبذلك يمكن للسهيرين والعنبيان أن يقرأوا الكتب المطبوعة على هذا النحو.

ورق الرد الطبي

ثبت بالفحص الطبي أن جرائم العدة يكثر انتقالها بورق الرد لتتقنها من يد إلى أخرى خصوصاً وبعض الناس يبنون أصابعهم بريقهم ليتناولوا الورق ويناولوه بسرعة

سمكة وذلك في (بارك بروتون) وحدها ولم يجدوا طريقة للخلاص من هذا العدو إلا إلقاء حرم من الشوك في الماء تمزق الخث.

ألمانيا والسل

يؤخذ من تقرير الصحة في ألمانيا أن فيها 87 مصحراً للشعب فيها 8647 سريراً منها 5772 للرجال و 2658 للنساء و 292 للرجال والنساء بدون استثناء وفيها 35 مصحراً خاصاً يحتوي على 2118 سريراً و 17 مصحراً للأولاد المسئولين فيها 650 سريراً و 67 مصحراً للأولاد المصابين بداء الخنازير فيها 6092 ويعمر فيها اليوم 11 مصحراً للأمهات فيها ثمانمائة سرير وعشر دور خاصة بمداواة هذا المرض وداران آخران تشيدان حديثاً هذا ما عدا دور النقاثة التي أقامتها ألمانيا وجمعياتها في الغابات وغيرها.

سماعة جديدة

اخترع أحد جراحي لندن سماعة جديدة استعاض فيها عن المعدن بالمطاط وكان المعدن يتأثر منه حاسة السمع بعض التأثير والمطاط يسهل مسه وينظف وضعه.

أهم الكتب

قيل أن صاحب ابن عباد كان يستصحب في سفره أحمالاً من الكتب للتنسية والاستفادة فلما ظفر بكتاب الأغاني استغنى عنها كتبها واكتفى بحسنه معه والغالب أن الناس في أوروبا سئمت نفوسهم من كثرة الكتب أو كادت وخافوا أن تكون لهم كما قال ابن خلدون عاتقة عن التحصيل فعرضت إحدى الجلات الدولية التي تخوض المباحث الحرة على المعاصرين من العالمين أن يبينوا لها آراءهم فيما يختارونه من

سمكة وذلك في (بارك بروتون) وحدها ولم يجدوا طريقة للخلاص من هذا العدو إلا إلقاء حرم من الشوك في الماء تمزق الخث.

ألمانيا والسل

يؤخذ من تقرير الصحة في ألمانيا أن فيها 87 مصحاً للشعب فيها 8647 سريراً منها 5772 للرجال و 2658 للنساء و 292 للرجال والنساء بدون استثناء وفيها 35 مصحاً خاصاً يحتوي على 2118 سريراً و 17 مصحاً للأولاد المسئولين فيها 650 سريراً و 67 مصحاً للأولاد المصابين بداء الخنازير فيها 6092 ويعمر فيها اليوم 11 مصحاً للأمة فيها ثمانية سرير وعشر دور خاصة بمداواة هذا المرض وداران آخران تشيدان حديثاً هذا ما عدا دور النقاة التي أقامتها ألمانيا وجمعياتها في الغابات وغيرها.

سماعة جديدة

اخترع أحد جراحى لندن سماعة جديدة استعاض فيها عن المعدن بالمطاط وكان المعدن يتأثر منه حساسة السمع بعض التأثير والمطاط يسهل مسه وينظف وضعه.

أهم الكتب

قيل أن صاحب ابن عباد كان يستصحب في سفره أحمالاً من الكتب للتسنية والاستفادة فلما ظفر بكتاب الأغاني استغنى عنها كلها واكتفى بحسبه معد والغالب أن الناس في أوروبا مشيت نفوسهم من كثرة الكتب أو كادت وخافوا أن تكون لهم كتب قال ابن خلدون عاتقة عن التحصيل فعرضت إحدى الخلات الدولية التي تخوض المباحث الحرة على المعاصرين من العالمين أن يبينوا لها آراءهم فيما يختارونه من

الأسفار التي تولى مكتبة يعتمد عليها المرء في خلوته وجلوته ولا تكون أكثر من أربعين كتاباً تبحث في الفلسفة والأخلاق والفنون والأدب.

التصوير عن بعد

هذا النقط الإفرنجي معناه التصوير عن بعد اخترع مسماه أحد علماء الألمان منذ مدة فقام مخترع فرنسي اليوم يتم ما بدأ به السابق فتسكن من نقل مسودة فوتوغرافية بالفحم إلى مسافة بعيدة وأخرج صورة منها في صورة تشبه الصل وليس في القيام بذلك أدنى صعوبة.

تلوين الجواهر

ثبت أن الحجر النظيف المعروف بالكوروندون المعتبر بعد الماس بقيسته يتأني تلوينه حتى يصير جوهراً لطيفاً وكذلك بعض الأحجار الكريمة ولكن الأحجار الكريمة تبقى على نقاستها وغلاتها ويمكن تلوين الياقوت الأحمر بلون آخر وإن كان من الثابت أن الأحجار تعيش وتموت كالنباتات فإن ذلك مما يسر السيل على المخترع أن يلون الأحجار الكريمة ألواناً غريبة.

غذاء الإنسان

نشر شبتدن من أساتذة كلية يال الأميركية كتاباً في الإكثار من التغذية ولا سيما في الإكثار من تناول اللحوم وأورد أمثلة كثيرة في هذا الباب. وأثبت الآن أن التغذية المعتدلة هي من الشروط المهمة في حسن الصحة ومتانة الأعضاء ومرونتها. وقد استعمل هذا الأستاذ بذاته مع بعض رصفاته من الأطباء طريقة التقدير في الطعام ولا سيما في الألبومين اللازم كل يوم فجادت صحتهم بما جودة وطبقت هذه القاعدة

على جنود في الخدمة مضطرين كل يوم إلى معاناة الأعمال الصعبة فثبت أن أعصاب
ظهورهم وسوقهم وصدرهم وآذرعهم قد قويت أي قوة وأن خير طريقة لاتقاء
الأمراض أن تقدر كمية الطعام على ما ينبغي ولا سيما اللحم.

الديكتوغراف

آلة اخترعت مؤخراً في أميركا تمنع أن يسمع أحد صوتك وأنت تكلم أحداً بالتلفون
أو يفهم كلامك أو يجعل الهواء التباساً في حديثك وحديث من تكلم.

تقهقر إنكلترا

قالت اللجنة الباريزية أن إنكلترا لم يعد لها المقام الأول في التجارة والصناعة كما كانت
منذ مئة سنة فقد بلغ ما أصدرته سنة 17820 من المصنوعات مليار فرنك أي أنه
يعادل ما أصدرته فرنسا والولايات المتحدة معاً والنسباً وألمانيا أو يوازي مصنوعات
العالم أجمع إذا أخرجت منه تلك الدول الأربع. وتزل ما أخرجته سنة 1880 إلى
خمس الحاصلات الصناعية وفي سنة 1894 إلى السدس ولم تبلغ الصادرات الإنكليزية
منذ سنة 1894 إلى 1903 سوى ثلاثة عشر في المئة. وكانت اليابان قديماً من أحسن
الربح للمصنوعات القطنية الإنكليزية إلا أنها أخذت تصنع مثلها في بلادها من ذلك
العهد وتقدمت صنائعها تقدماً غريباً فكانت تنسج سنة 1886 ستة ملايين ليرة من
القطن فأصبحت تنسج سنة 1895، 135 مليون ليرة أي أن مصنوعاتهما زادت أربعة
وعشرين ضعفاً في تسع سنين وغدت اليابان التي كانت تبتاع سنة 1884 بضائبة
ملايين دولار من المصنوعات القطنية لا تشتري سنة 1895 سوى نصف ذلك.

الجزائر والصحراء

نشرت مجلة العلم في القرن العشرين مقالة بحث فيها كاتبها في أصول سكان جنوبي الجزائر والصحراء فقال أن أهم عنصر في سكان الجزائر هم البربر والعرب والأول زارع والآخرين يقيمون على تربية المواشي وكثيراً ما كان هذان العنصران يتمازجان وقد أثر هناك الدم الرنجي أيضاً قال ومنذ استولت فرنسا على تلك الأنحاء أخذ كثير من قبائل الطوارق يعتاشون من رعي الماشية أو يسиров القوافل وأصبح بعضهم زراعاً يحرثون ويفتحون.

الدين في الصين

نشر أحد الباحثين من الإنكليز مقالة قال فيها أن الدين يرجع القهقري في الصين فلا يقل فيها المتدينون بالكونفوشيوسية والبوذية والطاوسية بل أن النصرانية هناك لا مستقبل لها أيضاً.

أولاد الفقراء

بحث بعض العلماء في السنين الأخيرة في قامات أولاد الفقراء ووزنهم ونسبتهم مع أولاد الأغنياء فثبت أن الأغنياء أعظم وأقوى (المقتبس 2 — 444) وقد عينت الحكومة الإنكليزية نخبة من الأطباء والعلماء ففحصوا 72848 صبياً في المدارس العامة في غلاسكو سنة 1905 — 1906 فنظروا إليهم من حيث مساكنهم لأن سعة المسكن دليل على سعة العيش في الغالب فثبت لهم أن 8 في المئة يعيشون في مسكن ذي غرفة واحدة و58 في المئة في مسكن ذي غرفتين و24 في المئة في مساكن ذات ثلاث غرف و10 في المئة في مساكن ذات غرف كثيرة وأثبتوا أن قامات البنين والبنات من الخامسة إلى الثالثة عشرة تضعف بحسب صغر المساكن التي يسكنونها

وأيدوا بالبرهان أن عظم المساكن إذا كانت دليلاً عاماً واضحاً على حالة الثروة فإن قاعات الأطفال ووزنهم تضعف بحسب ضعف الأسرة في السعة وبسطة العيش.
ترجمة التوراة

قالت اللجنة: ترجمت التوراة الآن إلى أربعين لغة وقد أورد الباحث فيرجيرالد بعض المصاعب العظيمة التي تحول دون نقلها إلى اللغات الهندية التي كثيراً ما تعوزها أهم الكائنات اللازمة. مثال ذلك أن أهل تاهيتي ليس عندهم لفظ يعبر عن الحشمة ولعنهم لا يعرفون هذا المعنى ومتوحشو الماوريس في زيلاندا الجديدة ليس عندهم كلمة شريعة والبلاد التي لم تدخل إليها التوراة بعد هي بلاد العرب والفرس والسودان.

مطاط جديد

اكتشف في التونكين شجر جديد من المطاط من النوع الجيد وهو كثير في عدة ولايات من تلك المستعمرة ولم يكن يعرف من شجره في الهند الصينية غير نوع كان يصعب استشاره كثيراً وقتنا يأتي بمطاط جيد.

ضرائب فرنسا

كان سكان فرنسا سنة 1808 يدفعون ضرائب للحكومة 21 ملياراً فأصبحوا يدفعون سنة 1896، 142 ملياراً من القوتكات ولم يتضاعف في خلال تلك الحقبة من القرن عدد سكانها على حين أنشؤوا يدفعون سبعة أضعاف ما يدفعون وزاد عدد الدفاتر التي أخذت من صناديق التوفير منذ سنة 1869 — 1898 من ثلثمائة ألف إلى ستمائة ألف وبلغت المبالغ المودعة 148 مليوناً وكانت 52.

تشغيل الأولاد

عدوا من دواعي الخجل على القرن التاسع عشر أن يتصرم ويخلف للقرن العشرين مسألة من أصعب مسائله الاجتماعية ألا وهي تشغيل الأطفال من البنين والبنات في المعامل والمصانع والمناجم بأيديهم وهم ضعاف الأجسام ولما ينبغي نحوهم المطلوب فتستولي عليهم الأمراض المختلفة. وقد دلت الإحصاءات في فرنسا سنة 1905 على أن عدد العاملين من الأولاد بلغ ثلثمائة ألف وعدد العاملات من البنات مائتين وستين ألف عاملة وأن بعض المعامل يكفي أصحابها بعامل كبير لقاء ثلاثين من هؤلاء الصغار لرخص أجورهم وشدة همتهم ولطالما أظهرت تقارير مفتشي المعامل أن بعضها يستخدم في السر أولاداً من أبناء الثانية إلى العاشرة وتطعمهم خسيس الطعام وتشغلهم عشر ساعات ولذلك صدق ما قاله أحد أساتذة العلم في اجتماع الطبي الباريزي من أن 141 من كل 896 ابناً وابنة يموتون بالسبل الظاهر.

نفقات الكليات

أحصى أحد أساتذة التعليم العالي ما تنفقه فرنسا وألمانيا على كلياتهما فبين أن ألمانيا تصرف 31 مليون فرنك على التعليم العالي في السنة وفرنسا تنفق 21 مليوناً على حين يبلغ سكان الأولى 56 مليون نسمة والثانية 39 مليوناً هذا ما خلا بعض الكليات القديمة في ألمانيا التي لها واردات سنوية تبلغ خمسة ملايين فرنك فيعدل ما يصيب المكلف في ألمانيا نفقة على التعليم العالي 54 سنتياً ومعدل ما يصيب الفرنسي 56 سنتياً ونصف. وقد قالت بعض اجلات وليس هذا مما يعاب على الفرنسيين ولكن الحقيقة أنه ينشر كل سنة في ألمانيا ثلاثة أضعاف ما ينشر في فرنسا

من المطبوعات في التاريخ الحديث وينشر في ألمانيا خمسون ضعف ما ينشر في فرنسا من المطبوعات في التاريخ القديم ولكن ترى هل ما تنشره ألمانيا عقود ودرر. عمال التجارة

رأى سفير فرنسا في لندن أن خير واسطة لنشر تجارة أمته في بريطانيا أن تبعث إليها بأناس من بينها تدرجهم على الأعمال التجارية على الأسلوب الإنكليزي وعندها تعهد إليها أن يكونوا وكلاء مع بيوتها التجارية وإن نقل الأشخاص الذين يصرفون المصنوعات ينفع أكثر من الاعتماد على أناس من الإنكليز لتصريف المصنوعات الفرنسية وما حث جسدك مثل ظفرك. ولذلك بدأ الجمع التجاري في باريس بإرسال كثيرين إلى ليفربول يدرسون الأعمال على الأسلوب الإنكليزي وسيكون ذلك مقدمة لنشر البضائع بين أمة أخرى.

تجارة الكتب

لم تكن فرنسا تصدر إلى إيطاليا من الكتب سنة 1903 سوى نصف ما تصدر ألمانيا إليها أي أن الأولى تصدر إلى إيطاليا بأربعمئة ألف فرنك وألمانيا تصدر إلى إيطاليا بشمائهة فأصبحت فرنسا تصدر إلى إيطاليا في السنة الماضية 636 ألف فرنك وألمانيا 916 وورد على فرنسا في السنة الماضية 7817 قنطاراً من الكتب المغلفة ومثل هذا القدر ورد على ألمانيا وفرنسا وألمانيا في مقدمة بلاد أوروبا بإصدار الكتب.

المعتهون

تبين أن أحسن طريقة في اختبار المعتهين ممن وقعت لهم عوارض وقتية وليسوا من العته في شيء هي التي جرت عليها مدينة غلاسكو في بلاد الإنكليز فإنهم هناك قبل أن

ينقلوا المصاب في مستشفى الخاذيب يجعلونه تحت المراقبة بضعة ايام وبذلك كان يظهر
أن خمسين في المئة لا يصلحون للبيمارستانات وستجري أكثر مدن أوروبا على هذه
الطريقة في استشفيات حال الجنين.

الملكة فكتوريا

نشر في العهد الأخير في إنكلترا كتاب ضخيم في ثلاثة مجلدات وهي رسائل الملكة
فيكتوريا والددة الملك إدوارد السابع منذ الإنكليز الحالي التي تولت الملك 64 عاماً
لما لم يعهد الملك في تاريخ إنكلترا أن تولي أمر الناس هذا الزمن الطويل وكان ابنها هو
وكاتم أسرارهم مساعدين في إعداد هذه المفكرات ليكون منها الشعب الإنكليزي
صورة حقيقة من قلب الملكة فكتوريا وأفكارها بدون تغيير الحقيقة التاريخية أو تعدينها
وبدون أن يغفلوا عن ذكر الأوهام التي كانت مستحكمة فيها لأول عهدهما وهذه
المجلدات هي عن الخمس والعشرين سنة الأولى من حكمها.

الانتحار والتربية

ألف أحد علماء الإفرنج كتاباً في التربية وانتحار الأولاد فأثبت أن عدد المنتحرين من
الأطفال يزداد سنة عن سنة وأن الداعي إلى الانتحار هو الغيرة والغضب والكبر
والخصومات الأهلية ومضادة الأميال والإجهاد العقلي وسوء معاملة الوالدين وفي
تضايف ذلك ما يبدو في المنتحر من ضعف الإرادة الناتج من مجتمع قليل المتانة
وبالجملة فإن القرف من الحياة يأتي أبداً من ضعف المراج ولا وسيلة لدفع الأولاد عن
الانتحار إلا بإطعامهم جيداً وتنويعهم طويلاً وتقوية أعصابهم بالجري على التداوير
الصحية والمعالجة بالماء البارد وإدخال السرور على قلب من كان فيه استعداد لذلك

والتخفيض عليه إذا ضاق صدره. ومن رأيه أن تأثير المعتقدات الدينية والقراءة في الكتب الصحيحة من أحسن المؤثرات في عقل المستعد للانتحار وأبان بالأمثلة والشواهد ما ينال الشبهة من المخاطر إذا حشيت عقولهم بالمعارف فوق طاقتها.

أخطار المسكرات

ذكرت مجلة المعين الاجتماعي أنه أحصيت محال بيع المسكرات في فرنسا سنة 1905 فكانت 476593 محلاً وما برحت آخذة بالزيادة منذ قرن قالت: وإن الحكومة لا تجهل أن جميع إصلاحاتنا الاجتماعية تكون من العشيات وجميع تربيتنا لجمهور الأمة وحریاتنا السياسية والمدنية ونظامنا الدستوري تصبح أهمة باطلنة وأثراً بعد عين إذا ظل يتعور المسكرات يستسبون الناس عندنا كما هم الآن. وقد أمر وزير الداخلية بأن تحقق أحوال دور الخانين فأثبتت اللجنة التي عهد إليها النظر في ذلك في 36 ولاية أنه زاد عدد المعتوهين بتعاطي المسكرات منذ عشر سنين 57 بالمئة وأن نصف المصابين بالجنون كان لتعاطيهم الإبلست والأشربة المقبلة. وفرنسا ساعية في إبطال المشروبات الضارة وإغلاق معظم محال بيعها جرياً على مثال معظم الأمم الراقية في الغرب.

القرى والمدن

تشكو معظم بلاد الغرب من كثرة زهد الفلاحين في قراهم وانتدابهم إلى المدن يتعاطون فيها الأعمال الصناعية وغيرها وقد وضعت فرنسا إحصاءً لذلك فظهر لها أن سكان الأرياف كانوا فيها سنة 1846، 75 في المئة من مجموع الأمة فتزل معدتهم اليوم إلى ستين في المئة هذا مع أن فرنسا أرقى البلاد الأوروبية بزراعتها. وقد غادر الحقول من سنة 1872 إلى 1891 نحو أربعة ملايين ونصف من الريفيين ولحقوا

بالمدين والعواصم وفي الإحصاء الذي تم سنة 1891 كان سكان باريز 2300000 منهم 800000 باريزيون أصليون والباقيون ريفيون.

غلاء المعيشة

يقول الاقتصاديون أن السبب في غلاء الحاجيات هذه الأيام كثرة الذهب في الأيدي فقد زاد محصول الذهب في العشر سنين الأخيرة ضعفي ما كان عليه فكان مجموع ما في العالم من الذهب سنة 1896 عشرين ملياراً فأصبح في العام الماضي ثمانية وثلاثين ملياراً من الجنيهات فالجنيه وقيمته قينته ولكن ما كان يتيسر للشراء أن يتناح به من البضاعة لا يتيسر له أن يتناحها به الآن لأنها قلت وعلى هذه النسبة تضاعفت أثمان اللحوم والفراخ أو زادت الثلث عما كانت عليه منذ عشر سنين. والمتأخر في هذا الباب آخذ بالحقائق بالمتقدم.

الدعوة إلى السلم

أول من دعا إلى السلام هو الفيلسوف الهولاندي إيراسم المدعو فولتير اللاتين فرأى سنة 1517 أن يجمع ملوك الأرض إلى مؤتمر عام في مدينة كامبري الفرنسية تحت زعامة الإمبراطور ماكسيميليان وفرنسيس الأول وهنري الثامن من ذلك إنكترا.

مطاعم الشعب

كانت مدينة ليون سنة 1892 أول من فتح مطاعم للشعب تباع الوجبة بأربعين سنتيناً وهي تحوي على لحم وبقول وجبن وخبز فيربح المطعم من كل وجبة سنتين ونصف ويربح من يقومون بهذا العلم ستة في المئة إلا أن سويسرا أرادت أن تفوق فرنسا في هذا السبيل فأنشأ بعض أهلها في مدينة زوريخ مطعماً ونزلاً للشعب مطليين

على رابية هناك من أجمل المناظر البديعة وجعلت الأجرة عن كل يوم ثلاث فرنكات ونصفاً عن الطعام والشراب والنام ومن أراد أن يحسك له محلاً يجب عليه أن يخاطر إدارة الفندق قبل ستة أشهر.

العلم والإحسان

تبين بالإحصاء أن النفوس رغبّت في الثلاث سنين الأخيرة عن مد يد المعونة لدور الإحسان فقد كان ما جادت به النفوس في فرنسا سنة 1904، 24 مليون فرنك من الوصايا والمنح في سبيل الخير فتّلت سنة 1906 إلى ثمانية عشر مليوناً ولكن ثبت أن من يوصون لدور العلم والجامع العلمية يكثر عددهم وما تجود به أيديهم فقد كان ما جادت به نفوس الفرنسيين في هذا السبيل سنة 1905 مليوناً ونصفاً من الفرنكات فبلغ سنة 1906 مبلغ 2.389.000.

الأميون في بولونيا

ثبت بالإحصاء أن سكان فارسوفيا عاصمة بولونيا قديماً التي هي اليوم من أعمال روسيا يكثر عدد نفوسها كثرة غريبة فقد بلغوا مليوناً من النفوس ولكن الأميين فيهم كثر بلغ معدّلهم 41 في المئة من الرجال و51 من النساء وإن عدد الأميين في بولونيا أكثر منه في جميع الولايات الروسية في أوروبا الغربية فإن صح ما قالوا فما تقول مصر والأميون فيها تسعون في المئة والبلاد العثمانية وما نطن الأميين فيها يقلون عن ثمانين في المئة.

الإحسان العام

ذكر بعض المحققين من الإنكليز أن إنكلترا في مؤخرة الشعوب الراقية من حيث جودها بالمال على البائسين فإن فينا من هذا القبيل خيراً من لندرا وبرلين خير من فينا وكوبنهاغ خير من برلين فترى الشيخ العاجز في بلاد الدانيمرك موضوع العناية العظيمة ولا يكلف أكثر من سبعة فرنكات على صناديق الإحسان على حين أن الرجل في إنكلترا يموت جوعاً إذا لم يمد يده فيشحن ويكلف العاجز فيها على المكلفين من الأهلين زهاء عشرة فرنكات.

الورق في أميركا

أكدت مجلة الجلات النيويوركية أن مجاعة من الورق ستنتشر في الولايات المتحدة بعد بضع سنين وذلك أن صنع الورق من الأشجار قد كاد يفنيها فإذا دامت الحال على هذه الصورة في قطع الأشجار لصنع الكاغد لا يمضي ربع قرن حتى لا يبقى شجر ولا ورق وقد أوردت مثلاً لذلك إحدى جرائد نيويورك التي تطبع ثمانمائة ألف نسخة في اليوم على ثمانين صفحة كبيرة قالت أن هذه الكمية من الورق التي تصرفها جريدة واحدة تحتاج إلى 9779 شجرة من علو عشرين متراً ثخينه وطنب الكاتب من الحكومة أن تنظر في حال الغابات التي تحطم لتصنع منها تلك الورقات والصفحات.

معامل الدين

رأى أحد المفكرين أن مراقبة الحكومات لمعامل الدين (الحليب) من أهم الخدم التي تخدمها لأمتها وذلك لأن الدين يستعمله الناس عامة فإذا لم يكن شيئاً يزيد في عدد الوفيات وقد ظهر بالإحصاء أن معدل وفيات الأطفال قد نزل في روستر من أعمال ولاية نيويورك إلى أربعين في المئة لأن حكومتها راقبت الدين مراقبة صحيحة دقيقة.

سياح اليابان

ينتشر ميل اليابانيين إلى السياحة في الأرض ولم يقصروا سياحاتهم على بلاد الصين والشرق الأقصى بل هم يقصدون بلاد الغرب أيضاً وقد رأى أحد عظماء مفكرهم أن السياحة تطلب لكل من يشتغل طوال السنة بالأشغال العقلية وإن في المدن اليابانية المنقطعة كمندينة كيتو ونيكو وماكون غنية عن ارتياد البلاد البعيدة إلا أنه ينقصها فنادق من الطراز الحديث ومحال للنساج ومحال للنساق وقال أن اليابان من هذه الوجهة متفجرة فرثي لها من أجل ذلك.

المدنية الحديثة

بحث إحدى اخلاجات اليابانية عن الطرق الحقيقية التي يجب سنوكها للأخذ بأهداب هذا التمدن الحديث فقالت كل ما يسنتك في هذا السبيل لغو وإثم إن لم ينظر فيه لسعادة البشر وهذه السعادة لا تنال إلا بترقية الأخلاق الشخصية وتحسين الذوق وهذا لا يتأتى إلا بنشر التعليم والتهديب.

خطب ومحاضرات

أخذ حديثاً نادي المدارس العليا في هذه العاصمة يدعو بعضاً من المشتغلين بالعلم والأدب لإلقاء خطب ومحاضرات على بعض أعضائه فتمن خطبوا فيه رفيق بك العظم وأحمد بك كمال وأحمد بك زكي وعمر بك لطفي وهم من أساطين النهضة المصرية اليوم. فقد خطب الأول في التدوين في الإسلام خطبة قال فيها: إذا قيل أن العرب أمة أمية فليس هذا القول على إطلاقه بل ربما طلق هذا الوصف على عرب البادية إطلاقاً أعم من إطلاقه على غيرهم من سكان المدن والدول البائدة كسكان

اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق والجزيرة وأطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومجد كالتبابعة في اليمن والمندرة في العراق والحوارث في أطراف الشام الذين منهم منوك تدمر في شرقي سوريا وإليهم تنسب الزباء زنوبيا وزوجها أذينة (أوزينوس) ومنهم منوك غسان في جنوب سوريا وتاريخهم مشهور معروف.

فهؤلاء الشعوب لا يجوز أن يطلق عليهم وصف الأمية إلا بالنسبة لحالة كل عصر كانوا فيه وإنما غموض تاريخهم وطبوس آثارهم أضاف تاريخهم إلى التاريخ القديم فكان مجهول الحقيقة إلا قليلاً مما وقف عليه الباحثون من الآثار الكتابية للحسينيين في اليمن والكتابات النبطية في شمال الحجاز وسيكشف دؤوهم على البحث وتتبع الآثار أكثر من ذلك. وحسبكم شاهداً على أن الأمية لا يجوز إطلاقها على كل العرب ما كان موجوداً من كتب أهل الحيرة إلى أوائل القرن الثالث الهجري بدليل ما قاله هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب الأنساب وهو إلى كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن زبيدة ومبالغ أخبار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة.

أما عرب الحجاز فالمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبيل البعثة أنها كانت موجودة ولو مع الندرة بذلك عليه كتابة المعلقة السبع التي كانت على الكعبة والصحيفة التي عاقدت فيها قريش على رد حقوق وإنصاف المظلوم وعلقوها على الكعبة والمعروف أنهم كانوا يكتبون العربية تارة بالخط النبطي وأخرى بالخط الحيري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي ومرة بالخط العبري. ثم ذكر أن الحديث كتب إن لم يكن كند فجند على عهد الرسول وأصحابه والحديث يشمل أكثر تاريخ الخلفاء

وكذلك كتب فن النحر الذي أملاه علي بن أبي طالب عن أبي الأسود الدؤلي وأما في عصر التابعين وتابعيتهم فقد كانت العناية بكتابة الأخبار أكثر وأقبل الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول وددت لو أن عندي كتي بأهلي ومالي وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية وكان ابن شهاب الزهري إذا جنس في بيته وضع الكتب حوله فشغلت عن كل شيء وهو من أهل المئة الأولى ولم يأت القرن الثاني حتى كثرت الكتب في فنون شتى خصوصاً فنون العربية والآدب فإذا كان ذلك كذلك هل يبقى مجال للريب في أن العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الأول وهل يستراب في صحة هذه العلوم على ما ثبت معنا من أنها كتبت مدعومة بالرواية لتكون أبعد عن سهو الكاتبين وتحريف الناسخين.

قال وهذه الطريقة في النقل لا تعد ثلثة في تاريخ الإسلام يتطرق منها إليه الوهن والتجريح بل تعد تحقيقاً للأخبار بالغاً حد الأمانة والتسحيص لم تسبق إليه أمة من الأمم غير المسلمين أما تلك الكتب التي دونت في الصدر الأول فإنها أدمجت في الكتب الجامعة التي ألفت بعد ارتقاء التأليف كما يرى في كتب الفنون التي اشتغل بها العرب ودونت بعد القرن الثاني معزوة لقائنيها.

وخطب أحمد بن كمال في التوحيد عند قدماء المصريين وتكوين أرض مصر والنيل وفي أصل الخليفة وأصل المصريين فقال أن صيغة التوحيد عند المسلمين موافقة تقريباً للصيغة التي كان يدين بها المصريون قبل عصر الملوك ويدلنا على ذلك رسوم هيروغليفية وجدت في أوراق البردي القديمة فترجم صورة هذه الصيغة عندهم بما

يأتي: الله وحده لا ثاني له يودع الرواح في الأشباح أنت الخالق تخلق ولا تخلق خالق
السنوات والأرض وقال أن علماء الآثار المصرية كانوا يعتقدون إلى ما قبل عشر
سنين أن قدماء المصريين وثيون ولكن زال هذا الاعتقاد باكتشاف هذه الصيغة وإن
التوحيد أتاهم من نوح عليه السلام بدليل قوله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحاً إذا قيل أن الشرك كان شائعاً عند قدماء المصريين بدليل قوله تعالى حكاية عن
يوسف عليه السلام آرياب متفرقون خير أم الله الواحد القهار فيقال أن يوسف كان
سجيناً عند فرعون مصر وأن عقيدة الشرك لم تدخل مصر إلا مع الرعاة (الهكسوس)
الذين دخلوا مصر قبل عصر الأسرات ولذلك كان المصريون يطلقون على بلاد
العرب اسم بلاد الوثنية وقال أنه جمع أسماء الأصنام بالعربية فرأى أسماء تشابهها
بالهيروغليفية واستطرد إلى ذكر البردي فقال أنه كان يزرع في الوجه القبلي وأن
النوتس (له ثمر كالشعير يقتات به) كان ينبت في الوجه البحري وأن المصريين سطوروا
علومهم من طب وهندسة وحساب على أوراق البردي والنوتس. وهذا النباتان
رمزان على من يحكم الوجه البحري والقبلي فإذا رأيت كرسياً مرسوماً عليه صورة
البردي والنوتس فاعرف أن الملك الجالس عليه كان يحكم الوجهين القبلي والبحري.
وقال أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن النيل ينبع عند أسوان ثم علموا أنهم
مخطئون في اعتقادهم وأن منبع النيل أبعد مما كانوا يتوهمون فلما وصلوا إلى بحيرة نو
اعتبروها أصلاً وأطلقوا عليها هذا الاسم ومعناه ماء والمصريون هم الذين عرفوا
الجهات الأربع فكانوا يطلقون على الجهة التي يأتي منها النيل قرن الأرض أي طرفها
ولذلك قيل عن ذي القرنين أنه منك المعنور ولكونه أخذ بطرفيها ويطلقون على

المقابلة لها بحري والشرق عنى مطلع الشمس وقالوا عند بخ أي الميلاد. وعرف المصريون الجنة والنار لأنه وجدت رسوم للنار والزبانية والحساب الأخروي في آثارهم. وأن النيل لم يكن له مجرى ثابت بل كان يفيض سيجاً وكان منحصرأ بين جبال برقة وليبيا. والبحر الأبيض يضرب إلى الفيوم واسم الفيوم بالهيروغليزية بيوم ومعناه الماء وكان هناك للنيل خزان كبير وما زال طسي النيل يرسم في قطعة الدلتا ويتقدم نحو البحر حتى تكون الوجه البحري وكان يتفرع عند أكاسور أمام أنبابة إلى فرعين فيذهب إحداهما إلى دمياط والثاني إلى أبي قير وكان يتولد عند بنها فرع ثالث يسمى فرع سمود الذي طم بعد ذلك فتكون من الفرعين الباقيين والبحر شكل الحرف اليوناني المسى دلتا وأول بند أنشئت في مصر لصلاحية أرضها للزراع هي أسوط.

وكان موضوع محاضرة أحمد بك زكي هل تحيل العرب اكتشاف أميركا قبل كريستوف كولومب فقال أن نقطة تاريخ ليست عربية وأن الهرمزان الفارسي الذي كان في مجلس عمر بن الخطاب عندما جمع هذا الصحابة يشاروهم في أمر التوقيت قال أنا معاشر الفرس نأخذ مبدأ معلوماً نجعله بداية التوقيت ونسبده ماه روز فاصطلاح العرب على هذا وجعلوا يوم الهجرة النبوية أول التوقيت الإسلامي وخرج لفظة ماه روز بأن الهاء حرف صامت أو ناطق عند الإفرنج وكذلك عند العرب فتسقط الهاء على أنها حرف صامت فتصير ماروز ونسح لأنفسنا في إبدال الزاي خاء فتصير ماروخ ويتصرف منها أرخ يؤرخ تاريخاً.

ثم تكلم على شغف العرب بنقل كتب الفلسفة والعلم وكيف كان المأمون يحارب
 فترهد نفسه في أخذ البلاد أو تكثير الجزية ولا يريد من المغنوبين على أمرهم من
 الملوك والأقباة إلا كتب العلم وإن هذا مما لا يعهد له نظير في فتوح العصور المتأخرة
 وذكر كيف أن هذا الخليفة انتدب يوحنا ابن البطريق المصري إلى بلاد الروم لبحث
 له عن كتاب أرسطو في السياسة فأخذ يتنقل من دير إلى دير ومن عالم إلى عالم حتى
 عثر عليه ونقله إلى العربية وقال أن البحر المتوسط كان على عهد المأمون بحيرة محاطة
 بمملكه وجزيرة صقلية من جهة ملوك العباسيين ثم استطرد على عادة محاضرات العرب
 إلى ذكر صقلية لما ملكها روجر الثاني وقال أن عماله كنهم كانوا من المسلمين وبهم
 كان يقتدي ويهتدي كما نحن اليوم نأخذ عن الإفرنج كل شيء. وتكلم عن الأخوة
 المغرورين أو المغرورين وهم جماعة من قبيلة واحدة من العرب قاموا من لشبونة
 معتمدين على الصبا وعددهم ثمانون عربياً للبحث عن أرض جديدة في الخيط فلم
 يتمكنوا إذ هاجمهم في الطريق عدد لا يحصى من البواشق فرجعوا وقصوا أشياء غريبة
 ففسسوا بالمغرورين وسمى درهم في لشبونة بدرم المغرورين وهذا ما أيده الشريف
 الإدريسي في جغرافيته. وفي رواية ثانية أن المغرورين كانوا ثمانية رجال كنهم أبناء عم
 ركبوا البحر في أول هبوب الريح فجرؤا بها نحواً من 11 يوماً فوصلوا إلى بحر كريد
 الراححة كدر الماء كثير الطروش قليل الضوء فعادوا ونزلوا بجزيرة كثيرة الأغنام
 وأخذوا لمنكها فأكرمهم ولما سألهم عن حالتهم قصوا عليه ما حدا بهم فلم ير إلا أن
 يركبهم في سفينتهم ويصحبهم بجماعة من عنده عصوا عيولهم أياماً فلما توسطوا
 البحر تركوهم لشنوهم عن الطريق ولما وصنوا إلى مكان هناك سألوا جماعة من

البرابرة عن المسافة بينهم وبين لشبونة فقال الزعيم مسيرة شهرين فقال القوم وا
أسفي وسعي المكان أسفي والمغاربة يحذفون منها الألف. وبذلك تبين أن الثانية أو
الثانية المعروفين قد ساءوا أحد عشر يوماً حتى وصلوا إلى جزيرة آسور سنة
1433م وأن العرب لم يستطيعوا مواصلة سيرهم لضعف الوسائل.

وكانت محاضرة عمر بك لطفي في أصل البنوك والمصارف فقال كان في القرون
الوسطى في إيطاليا أناس يحترفون بإبدال العملة يجلسون في الطرقات العامة وأمامهم
منضدة (ترابيزة) موضوع عليها نقود للصرف وتلك المنضدة تسمى بالإيطالية (بانكا)
ثم ترقى وظيفة هذه الطائفة واتسعت فأخذ الناس يحفظون نقودهم عند هؤلاء
الصيارف وصارت مصارفهم محلاً للودائع والأمانات ثم أخذوا سككة (عملة) وهمية
بدل السكة الحقيقية التي كانت معرضة للتلف فأصبحت كأوراق البنوك اليوم وأول
مصرف حاز اسم بنك مصرف مدينة البندقية سنة 1157 والصين أول البلاد التي
أحدثت حكومتها سنة 807 م العملة الاصطلاحية محل عملة النحاس ورأى ابن بطوطة
هذه العملة الاصطلاحية كما وصفها الرحالة جون مورفيل سنة 1427م ولم يظهر أثر
للعملة الاصطلاحية في البلاد الغربية إلا في سنة 1122 أثناء حصار أهل البندقية
لصور فإن الدوق ميكيلى الذي كان قائماً بأعمال الحصار أصدر إذ ذاك عملة من
الجلد عليها علامات الدوقية ورسومها فصرفت بالنقد لأربابها عند ما وردت على
البندقية وسنة 1240 أصدرت مدينة ميلانو لأول مرة في أوروبا أوراقاً لها حكم
العملة الحقيقية. ولعل النادي يطبع خطبه ومحاضراته تعبيراً لفائدتها.